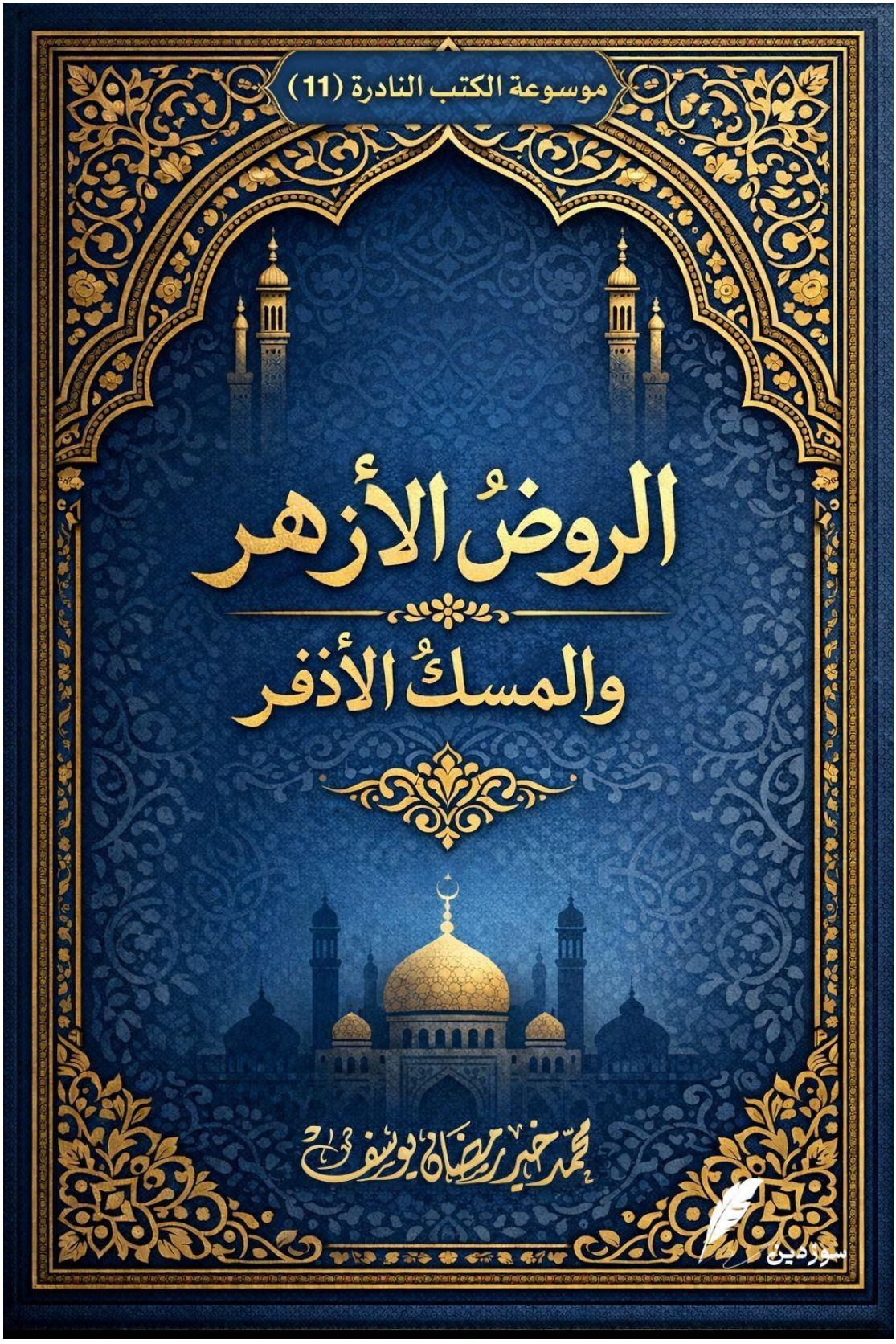
موسوعة الكتب النادرة (11)
الروضُ الأزهر
والمسكُ الأذفر
محمد خير رمضان يوسف
سوردين

موسوعة الكتب النادرة

(١١)

الروضُ الأزهر

والمسكُ الأذفر

محمد خير رمضان يوسف

١٤٤٧ هـ، ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(خاتمة المقدمات)

الحمدُ لله، والصلاة والسلامُ على سيّدنا رسولِ الله، وعلى آلهِ وأصحابهِ ومن والاه، وبعد:

فإذا كان الضيفُ يُعطَّرُ في آخر مجلسهِ ليَخرجَ مضمَّخًا برائحةٍ زكيةٍ فائحة، فإنَّ من حقِّ هذه الموسوعةِ أن تكونَ كذلك، ويكون آخرَها مسك، فيعبقُ بعطره، ويزهو بشدوه بين كتبِ الأدب والنثر، ويبقى شامةً صاعدة، وفراشةً متألِّقة، ووردةً متأرجحةً على ماءٍ ساكنٍ، ثم ينسابُ بهدوء، وتتراقصُ أو تتمايلُ عليه الوردةُ كعروس!

وكما أن للأولِ حكاية، وقوة ونشاطًا، فإنَّ للآخِرِ قرارًا ونهاية، وسكونًا ووداعة، وله وقعه، ونظرهُ وأثره.

وقد آثرت (موسوعةُ الكتب النادرة) أن تكونَ نهايتها كنهاية فراشةٍ تؤثِرُ السكونَ في روضةٍ زاهية، وخميلةٍ بهية، فتهدأُ من طولِ عهد، وتبقى منظرًا مؤثّرًا إلى جانب ورقةِ ورد، تُشَمّ، أو تبعثُ برائحتها الزكية إلى مَن حولها.

والحمد لله الذي وفقني لهذا.

محمد خير يوسف

الرياض ١٤٣٨ هـ

تنضيد ومراجعة وتصحيح في إستانبول، رجب ١٤٤٧ هـ، أول ٢٠٢٦ م.

آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوَّة *

لبدر الدين الغزي

- من آداب العشرة تحسين ما يعاينه من عيوب أصحابه، فقد قال ابنُ مازن: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم.
- ومن آداب المعاشرة: بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكِبر، وملازمة الحرمة، وإظهار الفرح بما رُزق من عشرتهم وأخوَّتهم.
- ومنها ألّا يصحب إلا عالمًا، أو عاقلًا فقيهًا حليمًا.
- قال عليٌّ كرَّم الله وجهه: أحيوا الحياء بمجالسة من يُستحيا منه.
- قال عمر رضي الله عنه: ثلاثٌ يُصفين لك ودَّ أخيك: أن تسلِّم عليه إذا لقيته، وتوسِّع له في المجلس، وتدعوهُ بأحبِّ أسمائه إليه.
- أنشد هلال بن العلاء:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ نفسي من غمِّ العداواتِ

- وأنشد ثعلب:

أغمِّضُ عيني عن صديقي تحشُّمًا كأني بما يأتي من الأمرِ جاهلُ
وما بي جهلٌ غير أن خليقتي تُطيقُ احتمالَ الكُرهِ فيما تحاولُ

- غيره:

---

* آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة/ لأبي البركات محمد بن محمد الغزي (ت ٩٨٤ هـ)؛ عني بتحقيقه عمر موسى باشا.– دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨٨ هـ، ١٠٣ ص.

ذكر فيه المؤلف أدب الصحبة وأوجه حسن العشرة، مبيِّنًا منها ما يدلُّ العاقل على أخلاق المؤمنين وآداب الصالحين، وأن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا وفقه لمعاشرة أهل السنة والصلاح والدين، ونزَّهه عن صحبة أهل الأهواء والبدع المخالفين.

والكتاب مليء بالأحاديث الشريفة، ولكن المحقق لم يخرّج منها واحدًا!

والمؤلف فقيه شافعي معروف، عالم بالأصول والتفسير والحديث، وقد سبق التعريف به عند عرض كتابين له: المراح في المزاح، وآداب المؤاكلة..

لا تمدحنَّ امرأً حتى تجرّبَهُ ولا تذمنَّهُ من غير تجريبِ
فإنَّ حَمْدَكَ مَنْ لم تَبْلُهُ سرفٌ وإنَّ ذمَّكَ بعد الحمدِ تكذيبُ

- الناس ثلاثة: معرفة، وأصدقاء، وإخوان.

فالمعرفة بين الناس كثيرة، والأصدقاءُ عزيزة، والأخُ قلما يوجد.

- قال محمد المغازلي رحمه الله: من أحبَّ أن تدوم له المودَّة، فليحفظ مودَّة إخوانه القدماء.
- قال القاسم بن محمد: قد جعل الله في الصديق البارِّ عوضًا عن الرَّحِم المدْبِر.
- الفرق بين عشرة العلماء والجهَّال قولُ يحيى بن معاذ الرازي: إن العلماء عبدوا الله بقلوبهم، والناس عبدوه بأبدانهم، والجهّالُ عبدوه بألسنتهم، وهم عبدوه بقلوبهم وأبدانهم وألسنتهم.
- قال بعض الحكماء: قلوب الأحرارِ قبورُ الأسرار.
- كتب الأحنف إلى صديق له: أما بعد، فإذا قدم أخ لك موافق، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف.
- لسعد بن حمدان:

لم أؤاخذكَ إذ جنيتَ لأني واثقٌ منك بالإخاء الصحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلِ وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

- ويُنشَدُ لابن أبي النجم:

اصنعِ الخيرَ ما استطعتَ وإنْ كنتَ لا تحيطُ بكلِّهْ
فمتى تصنعُ الكثيرَ إذا كنتَ تاركًا لأقلِّهْ

- ولبعضهم:

إن الكريم إذا تقطَّعَ ودُّهُ كتمَ القَبيحَ وأظهرَ الإحسانا

- ومن آداب الصحبة تركُ الوقيعة فيهم، قال أعرابي لرجل: قد استدللتُ على عيوبك بكثرةِ ذكرك لعيوب الناس، لأن طالبها متَّهمٌ بقدرِ ما فيه منها.

- كان عبدالله بن مسعود يقول: كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولًا كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة.
- أنشد المبرِّد:

لئن كانت الدنيا أنالَتكَ ثروةً وأصبحتَ منها بعد عُسرٍ أخا يُسرِ
لقد كشف الإثراءُ عنك خلائقًا من اللؤمِ كانت تحت سترٍ من الفقرِ

- قيل: إن فتى جاء إلى سفيان بن عيينة من خلفه، فجذبه وقال: يا سفيان، حدِّثني. فالتفت سفيان إليه وقال: يا بني، من جهل أقدارَ الرجال فهو بنفسهِ أجهل.
- قيل لأبي سفيان بن حرب: بمَ نلتَ هذا الشرف؟

قال: ما خاصمتُ رجلًا إلا جعلتُ للصلحِ بيننا موضعًا.

- لمعرِّس بن كرام:

من دعانا فأبينا فله الفضلُ علينا
فإذا نحن أتينا رجع الفضلُ إلينا

- أدب اليدين: بسطهما للإخوان بالبرِّ والصلة، ولا تقبضهما عنهم، ولا عن الإفضالِ عليهم ومعونتهم فيما يستعينون به.
- حسن أدب الظاهر، عنوانُ أدب الباطن.

الإفادات والإنشادات*

للإفراني

قال المؤلف: حضرت بمصر وليمة لبعض السادات البكريين، فكنتُ فيمن دُعي للطعام، وكان المجلس غاصًّا بالأكابر من أعيان البلد، وفيهم الشيخ عبدالباقي الزرقاني، والشيخ يحيى الشاوي المغربي، وغيرهم من الأعلام، فلما رأيتُ من المشهد ما انجابت به عني الكُرب، وسقاني من حميَّا الطرب، تحرَّكت القريحة، ودعتني الهمَّة التي بسكاكين النوى جريحة، أن قلتُ في الحال:

فللّه درُّ اليومِ بالأُنس والصَّفا ... أرقُّ وأصفى من زُلال على صفا

جمعنا به كلَّ المنى في عشيَّةٍ ... حبانا بها دهرُ السرورِ وأنصفا

فتناولهما الحاضرون إعجابًا بهما، إلى أن حصلت الرقعة بيد الشيخ يحيى، فتأملهما، فقال: ناظمَ هذين البيتين لا يكون إلا مغربيًّا! فقيل له: ممَّ عرفتَ ذلك؟ فقال: إن الماء لا يتفرَّقُ على الصفا إلا في بلاد المغرب.

فقال الشيخ عبدالباقي الزرقاني: لله درُّكما يا مغاربة، لا ندري العجبُ من هذا الارتجال أو من هذه الفراسة؟!.

---

* الإفادات والإنشادات/ محمد صغير بن محمد الإفراني (ت ١١٥٤ هـ)؛ تحقيق بدر العمراني.- الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي؛ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣ هـ.

حاول فيه مؤلفه نهج سبيل الإمام الشاطبي في كتابه بالعنوان نفسه (الإفادات والإنشاءات)، فقال في بدء كلامه: هذه كراسة حق على اللبيب أن يحلّي بها أعراسه، وهي لعمري ألذُّ من إغفاءة الصباح، وأوقع من ملاحظة الوجوه الصِّباح، حذوتُ بها حذو إفادات عالم شاطبة، وأودعتُها ما تستملحه الألباب قاطبة.

ومؤلفه فقيه وخطيب فصيح، ولد بمراكش واستفاد من علمائها، وتصدَّر للتدريس وخاصة التفسير، كما رفع راية الأدب، وألَّف.

- ذكر شيخ الجماعة أبو محمد عبدالقادر في مجلسه يومًا تحريم الدخان، فأنكر ذلك بعض الطلبة، فردَّ الشيخ مرارًا فلم ينزجر، فقال له: إن زعمتَ أنها مباحة فاشترِ منها رطلًا وتصدَّق به على والدك. ففُحم!
- كان شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (شارح الشفا للقاضي عياض) قد صُرف عن القضاء، ووُلي بعده من هو أحطُّ منه درجة، فأنشد في ذلك الشهابُ مورِّيًا بنفسه:

قالوا نراك سقطتَ عن رُتبٍ أترى الزمان بذاك قد غلطا[1]؟
قلت: الشياطينُ للعُلا صعدتْ فلذا الشهابُ من العُلا سقطا

- أملى الكلبيُّ شيخ المؤلف هذين البيتين:

كلامُ المصطفى وحيٌ فحدِّثْ عنه مأمونا
فلا تَسمَعْ ولا تُسمِعْ كلامًا عنه ملحونا

- وأفاد أحدُ أصحاب المؤلف أن في القاموس: يُقال: عيَّرتهُ أمَّه، ولا يقال: بأمِّه.

واستغربتُ أنا وهو ذلك، وأوقفني على شرح لامية العرب للماغوسي، أحد كتاب الدولة السعدية، وهو كاتب لا بأس به.

- وكان صاحبٌ له آخر مريضًا، ومنع الناس من عيادته، فلما رأى ذلك كتب إليه المؤلف:

أبا حسنٍ أدامَ اللهُ ربِّي وجودك راقيًا أوجَ السيادهْ
أجبنا في المريض فهل مباحٌ له منعُ الصحابِ من العيادهْ
فإنك قد منعتَ الناس منها وليس بلائقٍ شرعًا وعادهْ
وربُّ العرشِ يحفظنا جميعًا ويكسونا جلابيبَ السعادهْ

- كان الشيخ الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني يومًا بدرس المختصر يتكلم في مسألة، وجلب فيها كلام الشيخ علي الأجهوري، وأنه نظر فيها، فقال أبو عبدالله: "كيف يسارع للتأليف من يتوقف في مثل هذه المسألة وهي سهلة، وهكذا عادة هذا الشارح، ينظر في المسائل كثيرًا"!

---

(١) الزمان لا يغلط، إنما هو الإنسان.

فقال له بعض الطلبة ممن كان حاضرًا: أليس سمعنا عنك في خطبة الكتاب عن ابن الماجشون أنه قال: كنا في مجلس مالك، ولو شئنا أن نملأ ألواحنا من قوله، "لا أدري" لفعلنا!

فسكت الشيخ وكأنما أُلقم حجرًا!

وكان أبو عبدالله هذا آية في الحفظ، ويُنشد إذا غلبه بعض الطلبة يومًا في المجلس غير مكترث:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ

أفعلُ من كذا

لأبي علي القالي*

- أحسنُ من الشمس. أحسن من القمر. أحسن من العروس. أحسن من عاقبة الصبر. أحسن من الوفاء.
- أقبحُ من قرد. أقبح من يوم الفراق. أقبح من الجفاء.
- أعزُّ من الكبريت الأحمر.

أعزُّ من بيض الأنوق: يُراد الرَّخم، وهي تبيض في أعالي رؤوس الجبال، فليس يوصل إلى بيضها ولا تُنال.

- أذلُّ من حمارٍ مقيَّد. أذلُّ من وتد. أذلُّ من النعل.
- أبصرُ من فرس. أبصر من صقر. أبصر في الليل من الوطواط.
- أسمعُ من حيَّة.
- أصمُّ من ضَبّ.
- أصلبُ من الحديد. أصلب من صخرة.
- أشدُّ من الحديد. قال الشاعر:

فلو كنتُ الحديدَ كسرتموني ولكني أشدُّ من الحديدِ

- أصبرُ من الحجر.
- أشكر من بَروقَة.

---

* أفعل من كذا/ لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦ هـ)؛ تحقيق علي إبراهيم كردي.- دمشق: دار سعد الدين للنشر، ١٤٢١ هـ، ١٠٨ ص.

كتاب في الأمثال، أولها على وزن أفعل، أصيلة ومولدة، بلغت (٣٥٨) مثلًا، بدون ترتيب، لكنْ فيه تناسق وتناسب معنوي، أو جناس لفظي، وقد يشرح بعض ألفاظه كمثلٍ ويورد قصته، أو يستشهد ببيت من الشعر.

والمؤلف سبق التعريف به في هذه السلسلة، وهو من أعلام اللغة والأدب في تاريخنا الإسلامي، أخذ عن علماء كبار، وحاضر في الشرق والغرب، وذاع صيته في الأمصار. رحمه الله.

وهي بقلة تنبتُ بالغيوم إذا كثرت، أو بأدنى مطر.

- أشهرُ من الشمس. أشهر من القمر.
- أسرعُ من الريح. أسرع من البرق. أسرع من تلمُّظ الورل.
- آكَلُ من حوت. آكل من النار. آكل من الأرَضة.
- أطولُ من يوم الفراق. أطول من يوم سوء.
- أقصرُ من إبهام الضبّ. أقصر من يوم السرور.
- أكثر من الجراد. أكثر من التراب.
- أقلُّ من واحد. أقلُّ من القليل.
- أشدُّ من أسد. أشدُّ من الأرض.
- أضعف من فراشة. أضعف من بعوضة. أضعف من كبد العاشق!
- أجرأ من ذباب.

وذلك أنه يقع على أنف الملك.

- أحمق من حمامة.

وذلك أنها تعشِّش في المواقع التي تنالها فيها أيدي الناس، وليست كغيرها من الطير التي تَحذرُ على عِشاشها وبيضها!

- أثقل من أُحد. أثقل من الرصاص.
- أخفُّ من الريشة.
- أوسع من الفجّ.

وهو الطريق الواسع في الصحراء، وجمعه فِجاج.

- أضيق من خَرْتِ الإبرة. (وهو ثقبها). أضيق من جُحر حيَّة.
- أصفى من عين الديك. أصفى من الدمع.

أصفى من ماء المفاصل: يراد بذلك مَفْصِل ما بين الجبلين.

- أرقُّ من حدِّ السيف.
- أبينُ من فلَق الصبح.
- أسمحُ من ديك.

وذلك أنه ينثر الحَبَّ ويقف عليه يراعيه حتى يأتيَ الدجاج فتلتقطه.

- أضلُّ من وَرَل.

وذلك أنه لا يهتدي إلى جُحره إذا فارقه.

- أقدمُ من عاد. أقدم من الحنطة.
- أروغ من ثعلب.
- أنتن من جيفة. أنتن من عشِّ الهدهد. أنتن من ريح الجورب.
- أهون من قُعيس على عمته.

وزعموا أنها رهنته عند بقال بجُرزة بقل، وتركته في يده ولم تفتكَّه!

- أنوم من كلب. أنوم من فهد.
- أسرق من فأرة.
- آمنُ من الأرض (من الأمانة). آمنُ من حمام مكة (من الأمن).
- أعدى من الجرَب.
- أحلى من العسل. أحلى من نيل المنى.
- أمرُّ من الصَّبِر. أمرُّ من العلقم.
- أجهل من فراشة.

وذلك أنها تُقبِل حتى تقع في النار.

- أنقى من طستِ العروس.

وذلك أن طست العروس تكون مجلوَّة دائمًا.

- أنقى من مرآة الغريبة.

يريد أن الغريبة ليس لها من ينصحها في نفسها، فمرآتها أبدً مجلوَّة لتنظر إلى وجهها.

- أشبه من الماء بالماء.
- أحقد من جمل.
- أغدر من ذئب.

الأنيس النفيس المغني عن الجليس*

لأبي القاسم الزياني

لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه تسع كلمات: ثلاثٌ في المناجاة، وثلاثٌ في الحكمة، وثلاثٌ في الأدب.

أما التي في المناجاة فقال: كفاني فخرًا أن تكون لي ربًّا، وكفاني عزًّا أن أكون لك عبدًا، وأنت كما أحبُّ، فاجعلني كما تحبّ.

وأما التي في الحكمة فقال: قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسنه، وما هلك امرؤٌ عرفَ قدر نفسه، والمرءُ مخبوءٌ تحت لسانه.

وأما التي في الأدب فقال: استغنِ عمَّن شئت فإنك نظيره، وتفضَّل على من شئت فإنك أميره، واضرع إلى من شئت فإنك أسيره.

- قيل:

---

* الأنيس النفيس المغني عن الجليس/ أبو القاسم بن أحمد الزياني (ت ١٢٤٩ هـ)؛ تحقيق فاطمة مختار فكراش.- إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢ هـ، ٦٩٠ ص.

كتاب في الأدب والسياسة، فيه أشعار وأمثال ووقائع تاريخية من المشرق والمغرب، وحكايات، ومقامات، ومعلومات متنوعة، وتوجيهات أخلاقية وتربوية، فهو من كتب الثقافة العامة.

وجعل المؤلف موضوعات كتابه في (٢٠) بابًا، هي: العقل، العلم، العدل، السخاء، الشجاعة، الصبر، العفو، الشكر، التواضع، الصدق، الحِلم، الحياء، الوفاء، التأني، المشورة، الرفق، القناعة، الغنى، الرزق والحرمان، والحسد الموجب للحرمان، وخاتمة في حكايات أدبيات ونوادر هزليات.

ولم يوفَّق المؤلف في إيراد هذه الأخيرة، بل هي سيئة جدًا، حتى تبرأت منها المحققة الكريمة.

وقد عاش المؤلف ما يربو عن مئة سنة، مارس السياسة، وجالس الملوك والأمراء، والأدباء، والعلماء، ودرس العلم بمختلف أصنافه. وعاصر ثلاثة من السلاطين والأمراء العلويين، ولجأ إلى تأليف هذا الكتاب في أواخر عمره، وكان مما قاله في المقدمة: "وبعد، فلما امتدَّ العمر وطال، وذهب من كنا نألفه من الرجال، وتبدَّلت أحوال الناس في الأقوال والأفعال، ولم يبق للعاقل في ميدانهم مجال... لازمتُ كِسْرَ بيتي، واخترتُ العزلة، والبعد عن الحاكم والقاضي والمفتي... وجعلتُ ندمائي دفاترهم، وتآليفَ عميًا بكمًا لا يفشون إذا أودعتهم سرّي، ولا ينمُّون ما يسمعون من جهري...".

جمالُ الفتى في الناسِ صحَّةُ عقله وإن كان قَتْرًا رزقهُ ومكاسبهْ
وشَيْنُ الفتى في الناس قلَّة عقله وإن كَرُمتْ أعراقهُ ومناسبهْ
إذا أكملَ الرحمنُ للمرءِ عقلَهُ فقد كملتْ أخلاقهُ ومآربهْ

- وقيل:

المرءُ بالفعلِ مثلُ القوسِ بالوترِ إن فاتها وَترٌ عُدَّتْ من الخشبِ

- قال عليٌّ كرَّم الله وجهه:

ما حوى العلمَ جميعًا أحدٌ لا ولو مارسَهُ ألفَ سنهْ
إنما العلمُ بعيدٌ غورهُ فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسنهْ

- قال جالينوس: اجتنب الجاهل، فإنه يجني على نفسه وهي أعزُّ النفوسِ عليه.
- قيل:

وفي الجهلِ قبل الموتِ موتٌ لأهلهِ وأجسامهم قبل المماتِ قبورُ
وكلُّ امرئٍ لم يحيَ بالعلمِ ميّتٌ وليس له حتى النشورِ نشورُ

- قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز لمولاه مزاحم: إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عينًا على نفسي، فإن سمعتَ مني كلمةً تكرهها، أو فعلًا لا تحبُّه، فعظني عند ذلك وانهني عنه.
- قيل في البخل والبخلاء:

لو عَبَرَ البحرَ بأمواجه في ليلةٍ مظلمةٍ باردهْ
وكفُّهُ مملوءةٌ خردلًا ما سقطتْ من كفِّهِ واحدهْ

- مرَّ بعض الظرفاء ببعض البخلاء وهو يأكل، فلم يعرضْ عليه، فقال له: أتحتاجُ إلى من يساعدك؟ قال: لا أحتاج إلى مساعدة أحد إلا الدعاء منه. قال: كُلْ، لا هنَّأك الله.
- قال ابن الرومي:

لم أرَ شيئًا حاضرًا نفعهُ للمرءِ كالدرهمِ والسيفِ
يقضي له الدرهمُ حاجتهُ والسيفُ يحميه من الحيفِ

- قال الأحنف بن قيس: من لم يصبرْ على كلمة، يسمعْ كلمات.
- قيل: إذا سادَ اللئامُ بادَ الكرام، وإذا ارتفع الوضيعُ اتَّضع الرفيع، ودولةُ الأشرارِ محنةُ الأخيار، وإذا ملك الأراذلُ هلك الأفاضل، وإذا سادَ السفَّلُ خابَ الأمل.
- وقال ابن نبانة:

فسجدنا للقرودِ رجاءَ دنيا حَوَتْها دوننا أيدي القرودِ
فما بُلَّتْ أناملنا بشيءٍ وما نلنا سوى ذاكَ السجودِ

- وفي الصدق قيل:

إن الصديق الحقَّ مَنْ كان معكْ ومن يضرُّ نفسَهُ لينفعكْ
ومَنْ إذا رَيْبُ الزمانِ صدَّعكْ شتَّتَ شملَ نفسهِ ليجمعكْ

- قال الصفدي: سبعةُ خصالٍ تمنعُ الرجلَ أن يسودَ قومه أو يرأس في قبيلته، أو يستطيل في قبيلته، ونظمها فقال:

منعَ الناسُ أن يسودَ عليهم سبعةٌ قاله ذو التبيان
أحمقٌ كاذبٌ حقيرٌ فقيرٌ سفيهٌ ظالمٌ بخيلُ اليدانِ

- وللمتنبي:

أما الوفاءُ فشيءٌ قد سمعنا به ولا أرى الوفاء عينًا ولا أثرا
فكن حذورًا ولا تركنْ إلى أحدٍ ولا تَلُمْ أحدًا إن خانَ أو غدَرا

- وقيل في الكذّاب المداهي:

لسانُكَ لي حلوٌ وقلبُكَ علقمٌ وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ ملتوي

- وفي المشورة قيل:

لا تحقرنَّ الرأيَ وهو موافقٌ حُكمَ الصوابِ إذا أتى من ناقصِ
فالدرُّ وهو أجلُّ شيءٍ يُقتَنى ما حطَّ قيمتَهُ هوانُ الغاطسِ

- ذكر الشيخ علي الحريري أنه رأى دَرَّةً[1] تقرأ سورة يس.

(١) ببغاء صغيرة.

وقال النصيبيني إنه رأى غرابًا يقرأ سورة السجدة، فإذا بلغ محلَّها سجد، وقال: سجدَ لك سوادي، واطمأن لك فؤادي.

وذكر أحد كتَّاب الديوان بمصر أن امرأةً من أولاد أمراء الدولة العثمانية ماتت وخلَّفت أموالًا كثيرة، ولم يكن لها وارثٌ إلا بيتُ المال، وكان عندها دَرَّةً تحفظ القرآن كلَّه، فبلغ خبرها محمد باشا الوزير بمصر، فطلبها من صاحب بيت المال، فوجَّهها له، وأراد أن يختبرها، فأحضر أحد الطلبة، وأمره أن يقرأ سورةً من القرآن ويخلطها، فقرأ ما شاء الله، وانتقل لمحلٍّ آخر من سورة أخرى، فصاحت به وردَّته، فتعجَّبَ الناسُ من ذلك!

- وقيل:

كن شديدًا بعد رفقٍ لا رفيقًا بعد شدَّهْ

لأنَّ الشدَّةَ بعد الرفقِ عزّ، والرفقَ بعد الشدَّةِ ذُلّ.

- كان المتنبي مع كثرة ماله، وأخذه الجوائز العظيمة، على جانب عظيم من البخل، وكان يقف بين يدي كافور بخفَّين وشملة خلقة، ويحضر كلَّ يومٍ سماطه للغداء، ويأتي معه غلام أسود، معه آنية فخار كالقِدر، يحمل له فيها فضلات الطعام.

ومن بخله أنه أتى بصانع يصنع له خفافًا لغلمانه، فأقام عنده سبعة أيام، ولما فرغ أعطاهُ سبعة قراريط، فلم يقبلها، فقال له: كم ظننتَ أني أعطيك؟ قال: سبعة دنانير. فقال المتنبي: والله لو وضعتَ رجلًا على طور سيناء والأخرى على سرنديب، وتناولتَ قوس قزح وقائمة العرش، وندفت قطن الغمام على جناب الملائكة، ما أعطيتك دينارًا، فضلًا عن سبعة دنانير. وكان ظلومًا غشومًا.

- قال بعضهم:

ولي فرسٌ للخيرِ بالخيرِ مُسْرَجٌ ولي فرسٌ للشرِّ بالشرِّ مُسْرَجُ
فمن رامَ تقويمي فإني مقوَّمٌ ومن رامَ تعويجي فإني معوَّجُ

- وقال آخر:

إذا أعطشتكَ أكفُّ اللئامِ كفتكَ القناعةُ شبعًا وريًّا
فكنْ رجلًا جسمهُ في الثرى وهامةً همَّتهُ في الثريّا
فإن إراقة ماء الحياةِ دون إراقةِ ماءِ المحيّا

- وقال عليُّ بن الجهم:

ولا تُجمَعُ الأموالُ إلا لبذلها كما لا يُساقُ الهديُ إلا إلى النحرِ

- وقال محمد بن سابق:

فكم قويٍّ قويٌّ في تقلُّبه مهذَّبِ الرأي عنه الرزق ينحرفُ
وكم ضعيفٍ ضعيفٌ في تقلُّبه كأنه من خليجِ البحرِ يغترفُ
هذا دليلٌ على أن الإلهَ له في الخلقِ سرٌّ خفيٌّ ليس ينكشفُ

- وقيل:

ليس النعيمُ ولا الشقاءُ بدائمٍ لا بدَّ للإقبالِ من إدبارِ

- أنشد ابنُ حزمٍ لغيره:

إنْ صحبنا الملوكَ تاهوا علينا واستخفُّوا جهلًا بحقِّ الجليسِ
أو صحبنا التجارَ عُدنا إلى البؤ سِ وصرنا إلى عبيدِ الفلوسِ

- غيره:

أنستُ بالتفرُّدِ طولَ عمري فما لي في البريَّةِ من أنيسِ
جعلتُ مُحادثي وندِيمَ نفسي وأُنسي دفتري بدلَ الجليسِ

- وقيل أيضًا:

كم من صديقٍ ترى يُرضيك ظاهرهُ لينًا ولكنهُ في اللسعِ ثُعبانُ
يَسقيكَ ظاهرهُ عسلًا وباطنهُ سُمًّا وفي فمهِ ماءٌ ونيرانُ

- ولآخر:

عظمتْ في النفاقِ ألسنةُ القَو مِ وفي الألسنِ العِذابِ العَذابُ

- ولمهيار الديلمي:

أكرمْ يديكَ عن السؤالِ فإنما قَدْرُ الحياةِ أقلُّ من أن تسألا
وإذا امرؤٌ أفنى الليالي حسرةً وأمانيًا أفنيتهنَّ توكُّلا

- ولآخر:

ولقد أتيتُ لصاحبي وسألتُه في قرضِ دينارٍ لأمرٍ كانا
فأجابني: والله داري ما حوتْ عينًا، فقلت له: ولا إنسانا

- قال الطغرائي:

من لازمَ الصمتَ اكتسى هيبةً تُخفي عن الناسِ مساويه
لسانُ مَن يعقلُ في قلبهِ وقلبُ من يجهلُ في فيهِ
من اطلعَ الناسُ على سرِّهِ أصبح في أسرِ أعاديهِ

- قال بعض الحكماء: يُختبرُ ذو البأسِ عند اللقاءِ، وذو الأمانةِ عند الأخذِ والعطاء، والإخوانُ عند النوائب، والأهلُ والولدُ عند الفاقة.
- من سعادةِ جَدِّك وقوفُكَ عند حدِّك.
- وأنشد بعضهم:

وأسكتُ عن أشياء لو شئتُ قلتُها ولو قلتُها لم أبقِ للصلحِ موضعا

- ولآخر:

بين العزيزين فرقٌ في فعالهما فذاكَ يُعطي وهذا يأخذُ الصدقهْ

- غيره:

وما ضرَّني إلا الذين عرفتهم جزى الله بالخيراتِ مَن لستُ أعرفُ

- وقيل:

قضاةُ زماننا صاروا لصوصًا عُمومًا في القضاءِ لا خصوصا
يرون الغُنمَ أموالَ اليتامى كأنهم تَلَوا فيها نصوصا
فنخشى منهمُ إن صاحبونا[1] بسلٍّ من خواتمنا فصوصا

(١) في الأصل: صابحونا.

- وقال أبو الحسن علي بن عطية يهجو بعض القضاة:

قاضٍ يجورُ على الضعيف وربَّما لقيَ القويَّ بمثلِ حلمِ الأحنفِ

- كتب تميم بن العزِّ الصنهاجي إلى بعض أصدقائه شعرًا:

كتبتُ ولو كتبتُ بقدرِ شوقي لأفنيتُ القراطيسَ والمدادا
ولكني اقتصرتُ على سلامٍ يذكِّرُكَ المحبَّةَ والودادا

وأجابه الصديق بهذا:

أتاني كتابٌ منك جلَّت فضائلهُ تبشِّرُ بالودِّ القديمِ دلائله
فقلتُ له أهلًا وسهلًا ومرحبا وضممتهُ حتى كأنك داخله

- يُحكى أن رجلًا أصابت رجلَهُ شوكة، فأرادت زوجتهُ قلعها، فلمّا حرَّكتها بالإبرة أصدر صوتًا، فقال لها: هل رأيتها؟ قالت: لا، ولكن سمعتُ صوتها!
- ويُحكى أن امرأة كانت بمصر خُلقت من غير يدين، وكانت تعملُ برجليها ما يعمله النساء بأيديهن، حتى إنها تقبض الورقة برجلها اليمنى، وتكتبُ باليسرى. فلما امتحنها وزير مصر، كتبت رقعة بمحضره، وناولتهُ إياها... فزاد في راتبها وأثابها.

جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة*

للصفدي

للشاعر الزاهد محمود الوراق رحمه الله:

يا ناظرًا يرنو بعينَي راقدٍ ... ومُشاهِدًا للأمرِ غيرَ مُشاهِدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي ... درْكَ الجِنانِ بها وفوزَ العابدِ
ونسيتَ أن الله أخرجَ آدمًا ... منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

- غيره:

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذكرِه ... وتعترضُ الدنيا فنلهو ونلعبُ
يقينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمره ... عليه، وعرفانٌ إلى الجهلِ أقربُ

وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الحسن البصري رحمه الله، حيث قال: ما رأيتُ يقينًا لا شكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه من الموت.

- غيره في الصبر:

إذا حلَّ بك الأمرُ ... فكنْ للصبرِ لوّاذا
وإلّا فاتكَ الأجرُ ... ولا هذا ولا هذا

---

* جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة/ خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)؛ تحقيق عباس هاني الجراخ.ـ الكويت: مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، ١٤٣٤ هـ، ٢٣٧ ص.

من كتب المختارات الشعرية، رتَّبت على مقدمة وأبواب.

قال المؤلف في المقدمة: "هذه أوراقٌ أودعتها أزاهر ما حضر ذاكرتي، وأَدْرُجٌ ضمَّنتُها جواهر ما قذَفتْهُ حافظتي، عرضتُ حاصل فكري، فانتخبتُ منه هذه الزِّيد، ورقمته في هذه البرود المحرَّرة، وأنبتُّه في ريّاها الزاهرة، والتزمت أن أورد فيها ما رقَّ معناهُ وراق لفظه، وشقَّ الإتيانُ بمثله وشاقَ حفظه".

وليس كله بنافع.

وموضوعاته التي وزع عليها أشعاره هي: الصبر، البدر والهلال، الشمس، المدائح، الليل وقصره، الأغاني، النرجس، النحول والسقام، السهر، الصفاء والرقة، الوجنات، الثغر، السواك، الخمر، الوفاء، الأطيار، المحبة، العذل، الأيام السالفة، الخصور والأرداف، الشعر، الوداع، العناق، العفاف، الأغصان، المياه، هبوب النسيم، الغيم والرعد والبرق وقوس قزح، الفخر وشرف النفوس، السقاة، العذار، العيون، البرد والثلج والمطر والزلازل، الأهاجي.

- غيره:

ودَّعتُ قلبي يومَ توديعهم وقلت يا قلبُ عليك السلامْ
وأنت يا نومُ انصرفْ راشدًا فإنَّ عينيَّ بعدَهم لا تنامْ

- لغزٌ في خيمة:

ما اسمٌ إذا رفعتَهُ نصبتَ ما رفعتَ بهْ
ولا يتمُّ نصبهُ إلا بجرٍّ سببهْ

- غيره في البان:

نفَّشَ غصنُ البانِ أذنابه واهتزَّ عند الصبحِ زهورًا وفاحْ
وقال هل في الروضِ مثلي وقد تُعزى إلى قدِّي القدودُ الملاح
فحدَّق النرجسُ يهزو به وقال: حقًّا قد قلتَ ذا أم مزاح؟
بل أنت بالطولِ تحامقتَ يا مقصوفُ عُجبًا بالدعاوى القِباحْ
فقال غصنُ البانِ من تيههِ ما هذه إلا عيونٌ وِقاحْ

- غيره في المياه:

تأمَّلْ إلى الدولابِ والنهرِ إذ جرى ودمعُها بين الرياضِ غزيرُ
كأن نسيمَ الروضِ قد ضاع منهما فأصبح ذا يجري وذاك يدورُ

- لآخر في الرعد والغيم...

ألستَ ترى الأطيارَ تقرأ في الضحى وأغصانُها قد أطرقت فهي تنصتُ

- وللمؤلف في البرد والثلج...

جاء الشتاءُ وليس عندي فروة والبردُ خصمٌ لا يُرَدُّ ويُدفَعُ
وإذا الشتاءُ أتى ومالي فروةٌ ألقيتُ كلَّ تميمةٍ لا تَنفعُ

جواهر الكلِم وفرائد الحِكَم*

المنسوب للريحاني

- أفضل الذخر التقوى، وأحسن اللباس الورع، وأفضل الكسب الحسنات، وأسمحُ الناس من بذلَ دنياهُ في صلاح آخرته.
- العلماء غرباء لقلَّتهم وكثرةِ الجهال.
- أُنس الأمن يُذهب وحشة الواحد.
- أكثِرْ لتعلَم، وأقلِل لتحفظ؟
- الأُنس يذهب بالمهابة، والانقباض يضيع المودة.
- أولى الناس بالرحمة عالمٌ بين جهال.
- العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.
- الإمساك مع اللطف خيرٌ من البذل مع الجفاء.
- العلماء مِلْحَ الخَلق، فإذا فسدوا فَسد الخلق؛ لأن الأشياء تصلح بالملح، فإذا فسد الملحُ بماذا تصلح؟

---

* جواهر الكلم وفرائد الحكم/ المنسوب لعلي بن عبيدة الريحاني (ت نحو ٢١٩ هـ)؛ تحقيق ودراسة عبدالله بن سليم الرشيد.- الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣٧ هـ، ٤٢٣ ص.

حكم ووصايا، ومختارات من الكلم، عُنيت بالتهذيب الخُلقي وتقويم طبائع النفوس، بلغت (٢٥٩٠) فقرة، مرتبة على حروف المعجم.

ورجَّح المحقق ألّا يكون الكتاب للريحاني؛ لأسباب ذكرها، منها أن نصوصًا في الكتاب منسوبة لرجال متأخرين عن زمن الريحاني.

وهو بغدادي أو بصري، يعرف بالمنطقي لقدرته على حوك الكلام البليغ. وعُدَّ من الظرفاء، ومن ظرفه روايته للنوادر والأخبار الطريفة، ولا سيما ما كان منها مشتملًا على فنون من البيان. وله أخبار مع المأمون. وأقام في خراسان زمنًا، وشُغفوا بأدبه.

وقال فيه أبو حيان التوحيدي: لست أعرف كنه مذهبه وحقيقة شأنه، لكنه يقال إنه أقلع في شيخوخته عن عادته في شبيبته، وسلك طريق الزهاد.

- أسرع الذنوب عقوبة كتمان المعروف.
- إذا غلب عليك عقلك فهو لك، فإذا غلب هواك فهو لعدوّك.
- المحتاج عند الناس محقور، وأهلهُ وولده أول من يحقره.
- استكثر لنفسك من الله القليل من الرزق، واستقلَّ من نفسك كثير الطاعة؛ تَخلُصْ إلى الشكر.
- إذا عجزت عن أدب نفسك فلا تلومنَّ من لا يطيعك.
- أحسن أحوال الجائر أن يؤمَّل عدله، وأقبح أحوال العادل أن يُخاف جوره.
- أفضل ما أُعطي العبدُ في الدنيا الأناةُ عند الغضب، والسكون عند الجزع، والصبر عند البلاء، والهدوء عند الشدَّة والرخاء، وحسن السمت بين الناس، والوقار والحلم عند المباهاة.
- أجود الناس من زهد في الدنيا ووهبها للناس.
- اتق إهانة الإخوان، فإنها من علامات اللؤم.
- اذكر الأسقام في حال الصحة لئلا تأشر، واذكر الفاقة في وقت السعة لئلا تبطر.
- إذا سأل السلطانُ غيرك فلا تكن أنت المجيب، فإن ذلك خفَّة واستخفافٌ بالسائل والمسؤول.
- الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بالعلم.
- اختر من الأشياء جديدها، ومن الإخوان أقدمهم مودَّة.
- أنت خادم لمن احتجت إليه، ومخدوم لمن احتاج إليك.
- استصلاح العدوِّ إذا أمكن خيرٌ من إهلاكه، وذلك لأن الاستصلاح لا يهيّج العداوة، والإهلاك قد يهيّج أعظم من العداوة التي استُخرج منها.
- المحمود من حمده الأخيار، والمذموم من ذمُّوه.

- استصلح الأخيار بالكرامة، والأشرار بالتأديب، فإن لم تطق فبالمداراة، فإن لم تنفع فبالمباعدة.
- الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الطيبة، فإنها إن لم تَنبت كلُّها نبت بعضُها.
- بادروا بتعليم الأطفال قبل اشتغال البال.
- بذلُ المودَّة أجزل العطية.
- باعِدوا من جار السوء دارَكم، ومن قرين السوء مزارَكم.
- بليدٌ نشأ مع العلماء خيرٌ من ذكيٍّ نشأ مع السفهاء.
- بعيدٌ منصف خيرٌ من قريبٍ جائر، والأخ إذا لم يكن نصيحًا فالغريبُ أحقُّ منه.
- تاج المروءة التواضع.
- تثبَّتْ تَسلمْ، واعجلْ تندم.
- تصفَّحْ كتبَ العلماء، تصلْ إلى مراتب العلياء.
- تحبَّب إلى العوام، فإنهم ألسنة المحامد والمذام.
- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: الحليمُ من الأحمق، والبَرُّ من الفاجر، والرفيع من الدنيء.
- ثلاثة أشياء تذهب بقلب العبد وعقله: الجهلُ والمعصية والنسيان، وثلاثة أشياء تردُّ عليه قلبه وعقله: العلم والطاعة والذكر.
- ثلاثة في المجلس وليسوا فيه: الحاقنُ بولُه، والمريضُ جسمُه، والمشغولُ قلبه.
- ثناءُ الناسِ الكاذبُ لا دوامَ له، فلا تسكن إليه.
- ثمرة العلم العملُ الصالح، وللعمل الصالح ثمرتان: في الآخرة الفوزُ بالسعادة، وفي الدنيا الثناء الجميل والعيش الطيب.
- ثلاثة لا يُقبل قولهم، ولا ينفع خيرُهم، ولا يستلذُّ حديثهم، وهم: الكذوب، والأحمق، والذي يتكلم بالهوى.
- ثلاثٌ قليلُها كثير: النار، والمرض، والعداوة.

- جهلُكَ أشدُّ من فقرك.
- جالسوا أهل الدين، فإن لم تقدروا فجالسوا الكرام، فإن الفُحش لا يَجري في مجالسهم.
- جزاء من كذب ألا يصدَّق فيما يَعِد، ومن خان ألا يؤتمن.
- حسبك من العلم أن تخشى الله عزَّ وجلَّ، وحسبك من الجهل أن تُعجب بعملك.
- حسب امرئٍ عيبًا أن يعلم من نفسه فسادًا ثم لا يُصلِحَها.
- حرص الحريص يسوقه إلى الهمّ، وحسدُ الحسودِ يؤديه إلى الغمّ، وبخل البخيل يوجب عليه الذمّ.
- حصِّن عملك من العُجب، ووقارَك من الكِبر، وعطاءك من السرف، وصرامتك من الخُرق، وعقوبتك من الإفراط، وعفوك من تعطيل الحقوق، وصمتك من السهو، وخلوتك من الإضاعة، وعزيمتك من اللجاجة، ورجاءك من القنوط، وحذرَك من الجُبن.
- حِلَى النساء الذهب، وحِلَى الرجال الأدب.
- خيرٌ من الذهبِ مُعطيه.
- خزنُ العلم عن أهلهِ جهل.
- خصلتان لا تجتمعان: الكذب والمروءة.
- خرس اللسان خيرٌ من الكلام في غير موضعه.
- خير المواهب العقل، وشرُّ المصائب الجهل.
- خذوا الحقَّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق.
- ذنبٌ لا يُنسى: الغيبة، وجرحٌ لا يؤسى: الشتيمة.
- ذخيرة العقلاء الصدق، وعادة السخفاء الكذب، والاستقصاء سبب الفُرقة، والإقلاع عن الذنب سببُ الأمن.
- رأيتُ صلاح الأخلاق بمعاشرة الكرام، وفسادها بمخالطة اللئام.
- زينُ العقل التوسط في الأشياء.

- سرور المتعسِّف لا يدوم.
- سُكر المال أشدُّ من سُكر الخمر.
- سكون اللحد ولا سؤال الوغد.
- سفير السوء يفسد ذات البين.
- سوسوا السِّفَلَ بالمخافة.
- سيد الأخلاق عفوك عمن ظلمك، وإحسانُك إلى من حرَمك، ونصيحتُك لمن غشَّك، وكفُّك عمن ظلمك، وحِلمُك عمن أغضبك.
- سوء الأدب مرض في النفس.
- سهولة السبب توهم الظفر.
- شرُّ الناس العالمُ إذا فسد.
- شرُّ النصرة التعدِّي.
- شرُّ الصَّرعى صريع شهوة.
- شرُّ خصال الولاة الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء.
- شرُّ المال ما لا يُنفَقُ منه.
- صعاب الأعمال ثلاثة: الجود في قلَّة، والورع في خلوة، وقولُ الحق عند من يُخاف ويُرجى.
- صدأُ العقلِ الغضب، فلا يرى صاحبهُ فيه صورةَ حسنٍ فيفعله، ولا قبيحٍ فيَجتنبه.
- صِلْ قراباتك ولو بالتحية.
- صحبة الجاهل شؤم، وكفر النعمة لؤم.
- صونوا النعمة عن الزوال باصطناع المعروف إلى الناس.
- صافِ الوزير، تأمنْ ضرر الأمير.
- صيانة اللسان عونٌ على صيانة الإنسان.

- ضع الأمورَ مواضعها تضعْكَ موضعك.
- ضيق القلب سببٌ لاتّساع اللسان.
- ضيفُك لسانٌ يُخبر، والجارُ عينٌ وشاهد.
- طول التجارب زيادة في العقل.
- طلاقة الوجه، وبذل التحية، والتسهُّل في المعاملة، وترك العصبية، داعية للمحبة في البريَّة.
- ظنُّ الرجلِ قطعة من عقله.
- ظلم الأقارب أشدُّ وقعًا من السيف.
- عزُّ القناعة يمنع من التذلُّلِ للبخيل، وللمنّان، ولمن لا يحتشم من سوءِ الردّ.
- عزِّزْ كلامكَ بصدق فعلك.
- عبوس الوجه دليل على كراهته لقضاء الحاجة.
- عقل الرجل صديقه، وحمقه عدوُّه.
- عتابُ الأخ ومداراته خيرٌ من فقده.
- عقوبة الحكماء التعريض، وعقوبة السفهاء التصريح.
- عبدُ الشهوة أذلُّ من عبد الرقّ.
- غنمَ من حفظَ دينه، وسلمَ من حاسبَ نفسه.
- فرصة الإنسان تمرُّ مرَّ السحاب، فإذا مرَّتْ به فلينتهزها.
- فناء العمر ولا قُبح الذِّكر.
- فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمقاربة العلماء.
- قصِّرْ أملكَ فالعمرُ قصير.
- قليلٌ من الدنيا يُغني، وكثيرها يُطغي ويُلهي ويُهوي.
- قيل لبعض الحكماء: ما بلغ من شهوتك للعلم؟ قال: إذا نشطتُ فهو لذَّتي، وإذا اغتممت فهو سلوتي.

- كن من الدنيا على حذر، ومن الموت على وجل.
- كلٌّ يُعرف بقوله: ويوصفُ بفعله.
- ليس السُّكر من الشراب وحده، ولكنه من أشياء كثيرة، منها الشباب، والغنى، والجمال، والشره، والشبق، والهمّ، والجهل، وعادة السوء، وسُكر السلطان، والخمرُ العاشرُ.
- لؤمٌ بالرجل أن يستخدم ضيفه، وليس بحرٍّ من لم يمكنه ضبطُ نفسه.
- ليس كلُّ من سعى نجا، ولا كلُّ من طلب أدرك.
- من استطال على الإخوان، لم يثبت معه إنسان.
- من لم يُرجَ الخيرُ لديه، انصرفت وجوه الرجال عنه.
- ما ذلَّ قومٌ حتى ضعفوا، وما ضعفوا حتى تفرقوا، وما تفرقوا حتى اختلفوا، وما اختلفوا حتى تباغضوا، وما تباغضوا حتى تحاسدوا، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض.
- من قلَّ قنوعه كثر خضوعه.
- من رجا شيئًا طلبه، ومن خان شيئًا هرب منه، ومن أحبَّ شيئًا آثره على غيره.
- من عاتب رجلًا بأكثر من عقله ظلمه.
- من ترقَّى وجب عليه أن يتوقَّى.
- من تأدب تجنَّب، ومن تجنَّب تحبَّب، ومن تحبَّب تقرَّب، ومن تقرَّب قَرُب.
- نعم الزاد للإنسان، الإحسانُ إلى كلِّ إنسان.
- نصفُ عقلك مع أخيك، فاستشره في كل أمرك.
- نصح المرء في المحافل تقريعٌ له.
- نُقلان الصخور أيسرُ من معاملة الضَّجور.
- همَّة الجاهل البطالة واللهو، وهمة العاقل الحكمة والأدب، ومداومة الأعمال الصالحة.
- وروُدُك بأناةٍ يُصدِرُك بنجاة.
- وجبتْ محبةُ من لانت كلمتُه.

- ويلٌ لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بعمله.
- ويلٌ لمن سمع فلم ينفعهُ السمع، وويلٌ لمن علمَ فلم ينفعه العلم.
- وعظُ المرءِ لأخيه جهرًا يَشينه ويُخجله، ووعظه إياه سرًّا يزينه ويصلحه.
- لا تكن من يجمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، وتجري في عملك مجرى السفهاء.
- لا خير فيمن لا يستحي من العيب، ولا يرعوي عند الشيب.
- لا تزهدنَّ في يسيرٍ من البِرّ، فإن الثوابَ يضاعفُ، وربما وقع اليسيرُ منه موقع العظيم.
- لا تترك العلم حياءً، ولا تطلبه رياء.
- لا تُكتسبُ الآخرة بالرياء، ولا النساءُ بالجفاء، ولا الأصدقاءُ إلا بالوفاء.
- لا يقوم عزُّ الغضب إلا بذلِّ الاعتذار.
- لا تمازحِ الكبار فتهونَ عليهم، ولا الصغار فيستخفُّون بك.
- لا تكونَنَّ ضاحكًا من غير تعجب، ولا مشّاءً إلى غير أرب.
- لا تزهد فيمن يرغب فيك.
- لا تمدنَّ إلى المعالي يدًا قَصُرت عن المعروف.
- لا تكن عنايتك باليوم دون غدٍ، فإليه تصير.
- لا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب.
- لا ترغب في الغنيِّ الدنيّ، ولا في الفقير الغويّ.
- لا دواءَ لمن لا حياءَ له، ولا حياء لمن لا وفاء له.
- لا تُعمِلْ سيفك فيما تكتفي فيه بالسَّوط.
- لا تفرح بثناء الناس عليك إذا لمن يكن فيك ما يثنون، وسريرتك أولى بك من علانيتك.
- لا تُفنِ عمرك بالملاهي، ولا تصرف مالك في المعاصي، فتخرجَ من دنياك بلا عمل، وتَرِدَ على ربك بغير أمل.

- لا تقولنَّ ما يوافق هواك ويخالف أخاك، وإن قلته لهوًا ودخلته لغوًا، فربَّ لهوٍ يوحش منك حُرًّا، ولغوٍ يَجلب عليك شرًّا.
- لا تثقْ بالحبيب قبل الخبرة، ولا تُوقِعْ بالعدوِّ قبل القدرة.
- لا عَزَّ ذو باطلٍ ولو طلع من جبينه القمر، ولا ذَلَّ ذو حقٍّ ولو اتفق عليه البشر.
- يَحزنُ من كثر أعداؤه.
- يهرم الفتى ويَشِبُّ أدبه.
- يسيرُ الخيرِ كثير.
- يورثُ الكِبْرُ البغضاء، ويقطع حبل الصفاء.
- يُثني عليك من لا يُسمِعُكَ، ويحبُّك من لا يتملَّقُ لك.
- ينبغي للإنسان أن يكون قنوعًا في المال، غير قنوع في العلم.
- ينبغي للعالم أن يكون فيه علامات: لا يجزعُ من شدائد الدنيا، ويصبرُ على مرارتها، ولا يفرح براحتها، ويُناصح في طاعة الله، وينصح الخلقَ لله عزَّ وجلَّ.
- يجب ألا تسأل بخيلًا ما قدرت، فإنه إن أعطاك أبغضك، وإن لم يعطِكَ أبغضَتهُ.
- يعيا الإنسانُ من الراحة، ويمرضُ من الشبع، فإن قدرت ألا تكثر من شيء فافعل، إلا مما يُدني إلى الله تعالى، ويُبعد عن عذابه.
- يجب أن تبدأ من الأعمال بأعظمها خطرًا، وأحضرها نفعًا، وأخوفها فوتًا، وأزكاها عند الله.
- يوزَنُ المرءُ بقوله، ويقوَّمُ بفعله.

الجواهر النفاس في بيان صفات السيِّد من الناس*

لليافعي

السيِّد مشتقٌّ من السؤدد، ويقال: سادَ قومَه، وهو أسودُ من فلان: أي أجلُّ منه.

وقد اختلف أئمة الفقه والمفسِّرون والمشايخ العارفون في السيِّد على عشرين قولًا أوردها المؤلف، منها قول الهروي: هو الذي يفوقُ قومه في الخير.

وقال غيره: هو الذي يُفْزَعُ إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمورهم، ويتحمَّل عنهم مكارههم، ويدفعها عنهم.

وقال بعض المفسِّرين في قوله تعالى: {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} [سورة آل عمران: ٣٩] في وصف يحيى عليه السلام: أي حليمًا.

وقال بعض المشايخ العارفين: راضيًا بالقضاء.

وقال آخرون: من استوت أحواله عند المنع والعطاء.

وقيل: من غلب شهوته وهواه.

قال المؤلف: وقول كلِّ واحد منهم على قدر علمه وهمَّته وحاله، والظاهر الذي لا يُشَكُّ فيه أن السيادة فيما يرجع إلى عُرف الناس، تختلف باختلاف أحوال الناس. ثم فصَّل وركَّز.

فالسيِّد عند المشايخ العارفين السادات ما تقتضيه أحوالهم المذكورات.

والسيِّد عند العلماء الفضلاء من جميع المذاهب المشهورةِ ما تقتضيه أقوالهم المذكورة.

---

* الجواهر النفاس في بيان صفات السيِّد من الناس/ عبدالله بن أسعد اليافعي؛ تحقيق حسين محمد علي شكري.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣١ هـ، (طبع بآخره: جزء تمثال نعل النبي ﷺ لأبي اليمن بن عساكر، وجزء فيه فوائد حديث أبي عمير لابن القاص).

أورد فيه المؤلف أقوالًا لمن يقال له (السيد)، يعني من يسود الناس ويفوقهم في صفات، وركز على المشايخ العارفين، الغائصين في المعرفة والسلوك، والمؤلف من أهل التصوف رحمه الله، ومن شافعية اليمن، نسبته إلى يافع من حمير، ومولده ونشأته في عدن، ثم أقام في مكة المكرمة، وتوفي بها سنة ٧٦٨ هـ. وله مؤلفات مشهورة، منها: مرآة الجناة وعبرة اليقظان، روض الرياحين في حكايات الصالحين، الدر النظيم في خواص القرآن العظيم...

- ومن أقوال المشايخ المستحسنة قول التستري رحمه الله: لا يستحقُّ الإنسانُ الرئاسة حتى يصرف جهله عن الناس، ويحملَ جهلهم، ويترك ما في أيديهم، ويبذل ما في يده لهم.
- والسيد عند أهل الدنيا: من تميَّز عنهم بأمر من أمورها التي يعظّمونها، كتولي أمرٍ من أمور السلطنة يترفَّع به على من دونه، أو جمعِ مالٍ يفوقُ به أقرانه، أو ترفُّعٍ بدُورٍ وخدمٍ وزينة، وأرضٍ وحدائق نضيرة، والشهوات التي زُيِّن حبُّها للناس، مما يتباهون به ويعظِّمونه، ويتنافسون به ويفخمونه.
- والسيِّدُ الكامل عند العرب من اجتمعت فيه صفات عديدة جميلة حميدة، منها: الكرم والشجاعة والرأي والحِلْم، وحُسن الخلق، ورزانة العقل.
- وقد سألتُ بعض الجهّالِ من أجلافِ العرب فقلت: من السيِّد عندكم؟ فقال على الفور: من كسر السريَّة، وعقرَ السمينة.
- وقال رسولُ الله ﷺ: "من سيِّدكم يا بني سلمة"؟ قالوا: الجدُّ بن قيس، على أنّا نبخِّله. قال: "وأيُّ داءٍ أدوأ من البخل؟! بل سيِّدكم الجعدُ القَطَطُ عمرو بن الجموح"(١).

وهذه السيادة جامعة بين الدين والدنيا، حاصلة لمن فيه سماحة وفتوة، واتساعٌ في المال والخُلق والمروءة، وتقدُّمٌ في أمور الدين والدنيا، مع صلاح النية، وحسن السيرة.

والجدُّ بن قيس المذكور هو المنافق المشهور الذي قال الله تعالى فيه: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [سورة التوبة: ٤٩].

وقال آخر في السيادة:

لا يُدرِكُ المجدَ إلا سيِّدٌ فطن ... لِمَا يَشُقُّ على الساداتِ فعَّالُ
لولا المنيَّةُ سادَ الناسَ كلَّهمُ ... الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ

وقوله هذا يشيرُ إلى الجود والشجاعة.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير شيخ الطبراني. قاله الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٥، ومنه نقلت اللفظ. والجعد القطط: الشديد الجعودة.

- وأما قول الخنساء في مدح أخيها:

وإنَّ صخرًا لتأتمُّ الهداةُ به كأنه عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

فهذا مدحٌ بالغٌ يشتملُ الرأي وغيره من الأوصاف التي يُقتدى بها.

- ومنهم من اقتصر على ذكر المكارم فحسب، قال الأقرع بن حابس لما قدم وفدُ بني تميم على رسول الله ﷺ:

أتيناك كيما يعرفَ الناسُ فضلَنا إذا خالفونا عند ذكرِ المكارمِ
وإنّا رؤوسُ الناسِ من كلِّ معشرٍ وأنْ ليس في أرضِ الحجازِ كدارمِ

فأمر رسول الله ﷺ حسانًا رضي الله عنه ليجيبه، فقال:

بني دارمٍ لا تفخروا وإن فخركم يعودُ وبالًا عند ذكرِ المكارمِ
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خَوَلٌ ما بين ظئرٍ وخادمِ

- وفي فضل الشرف الحاصل بلا اكتساب على الشرف الحاصل بالانتساب، قال التهامي:

لا تحسبنَّ حسَبَ الآباءِ مكرمةً لمن يقصرُ عن غايات مجدهمِ
حُسنُ الرجال بحسنى لا بحسنهم وطولهم في المعالي لا بطُولهم

- ثم أورد المؤلف أبياتًا ينتصر فيها لسيادة المشايخ المحققين، والأولياء المقربين، الذين هم لعلوم المعارف والأسرار محققون، منها:

لنا في الهدى والعلمِ والحلمِ والندا ومجد العلا كم سيدٍ ناب سيّدا
إذا مات من أشياخنا ذو جلالةٍ يقوم جليلٌ بعد ذاك مؤيدا

ومنها:

رؤوسٌ وما رامَ الكرامُ رئاسةً وساداتُ عصرٍ غيرُ طُلّابِ سؤددِ
بلا شكٍّ هم ساداتُ أهل زمانهم ومن قال قولًا غيرَ هذا فمعتدي
سأمدحهم عمري وإن كنتُ عاطلًا بحُسن الحُلى في كلِّ نادٍ ومشهدِ

ويرجعُ سيادتهم إلى ما تحقَّق فيهم من إخلاص وصدق، وحرية من رقِّ النفس، ولم يغترُّوا بما اغترَّ به كثيرٌ من الحمقاء في طلب الجاه وغيره من الحظوظ العاجلة... فهم السادات على التحقيق، أهل العُلا والفضائل، والسامحون بنفوسهم في طلب المعالي القدسية.

قال بعضهم:

ولستُ بميَّالٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العلياءُ إلى جانب الفقرِ

- ومدحهم المؤلف مرة أخرى فقال:

نِجابٌ فتية غُرٌّ كرامُ من العلياءِ في أعلى مكانِ
بحارُ العلمِ أوتادٌ لأرضٍ ملوكُ الخلقِ أقمارُ الزمان

- هم الذين سمحوا بأموالهم وأنفسهم لله عزَّ وجلَّ خالصًا من غير طلب سيادة ولا رئاسة.. بخلاف رئاسة الدنيا وسيادته التي لا تحصل لأهلها إلا بخسارة الدين في جمع الدنيا من حِلِّها وغيرِ حلِّها، وإخراجها في غير وجهها للرياء والسمعة في طلب الرئاسة والمفاخرة والمباهاة، وغير ذلك من المحرَّمات المهلكات... يتلذَّذ أحدهم بفخر أيام، ولا يبالي بما في ذلك من المقت والآثام، واستحقاق العقاب والذلِّ والهوان، ومقاساة الأهوال والشدائد العظام، وطول الحساب في يوم مقداره ألف عام...

وقيل:

وإنَّ امرءًا لم يحذرِ الدهرَ جهدَهُ ويعمل للأخرى لغيرُ حليمِ

حلية الكرماء وبهجة الندماء*

لابن أبي العيد المالكي

قال الشاعر:

وكم من كبير القوم لا عقل عنده صغيرًا إذا دارت عليه الدوائرُ

وكم من صغيرِ السنِّ حاز بعقلهِ وتدبيرهِ ما لم تنلهُ الأكابرُ

- قال سعيد بن جبير: ما رأيتُ للإنسان لباسًا أشرفَ من العقل، إذا انكسر صححه، وإذا وقع أقامه، وإن ذلَّ أعزَّه، وإذا افتقر أغناه...
- قيل لبعض الكرماء: ما الكريم؟

قال: إطعامُ الطعام لا رغبة في حسن الثناء.

قيل: ثم ماذا؟

قال: أن يستكثر ما يقدِّمه لك غيرك، وأن يستقلَّ ما يقدِّمه لك وإن كان كثيرًا.

- قيل لبعض الكرماء: لا بأس بالحجّاب لئلا يدخل علينا من لا نعرفه احترازًا من عدوّ.

فقال: إن عدوًّا يأكلُ خبزنا فلن يمكِّنه الله منا.

---

* حلية الكرماء وبهجة الندماء/ لابن أبي العيد المالكي (ق ٩ هـ)؛ تحقيق السيد يوسف أحمد.- القاهرة: كتاب ناشرون، ١٤٣١ هـ، ١٨٩ ص.

مجموع أدبي ثقافي، فيه نوادر وفوائد، وقصص وحكايات غريبة، وأشعار اجتماعية وغزلية، وقد جعله المؤلف في خمسة أبواب، هي:

- الكرم وصفته ومن اتسم بسمته.
- اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف.
- سير الملوك الأوائل وأخبار الكتبة الأفاضل.
- أحوال النساء والرجال وآدابهم على كلِّ حال.
- وصايا ينتفع بها العاقل وينتبه بها الغافل.

وقد سبق أن عرضت أخبارًا كثيرة في الكرم في كتب سابقة من هذه السلسلة، واقتصرت منها هنا على فقرات قصيرة، وتركت ما هو مطوَّل منها.

- وقيل لبعض البخلاء: ما الفَرَجُ عندكم بعد الشدَّة؟

قال: أن أعزم على الضيف فيعتذرَ بالصوم!

- وقيل: إن بعض البخلاء كان بين يديه خبز وعسل، فرأى ضيفًا قادمًا، فرفع الخبز ظانًّا أن الضيف لا يأكل العسل إلا بالخبز.

فقال البخيلُ للضيف: يمكن أن تأكل عسلًا بغير خبز؟

قال: نعم. وجعل يلعق لعقةً بعد أخرى.

فقال البخيل: يا أخي والله إنه يحرقُ القلب.

فقال الضيف: صدقت، ولكن لا يحرق إلا قلبك.

- يحكى أن عمر بن عبدالعزيز كان ينظر في قصص الرعية، وأنه كان ينظر في حاجاتهم في ضوء السراج، فجاء غلامه فحدَّثه في معنى سبب كان يتعلق ببيته، فقال له عمر: اطفئ السراج.

ثم حدَّثني أن هذا الدهن من بيت المال، ولا يجوز استعماله إلا في أشغال المسلمين.

- دخل شبيب بن شيبة يومًا على المهدي، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك الدنيا، فأعطِ رعيتك قسطًا من طيب عيشك.

فقال المهدي: وما الذي ينبغي أن تُعطى الرعية؟

فقال: العدل، فإنه إذا نامت الرعية في أمنٍ منك، نمت آمنًا في قبرك.

ثم قال: احذر يا أمير المؤمنين من ليلةٍ لا يوم بعدها، ومن يومٍ لا ليلةَ بعده، واعدل ما استطعت، فإنك تُجازى بالعدل عدلًا وبالجور جورًا، وزيّن نفسك بالتقوى، فإن في الحشر لا يعيرك أحدٌ زينته.

- سُئلت امرأة عاقلة: ما أدبُ النساء؟

فقالت: البخل والجبن.

قيل لها: وما عيوب الرجال؟

قالت: هذا من أدب النساء!

- وقيل: تزوَّج بعض الحكماء امرأة قصيرة، فقيل له: لِمَ لم تتزوَّج بامرأة طويلة؟

فقال: رضيتُ من الشرِّ بأقلِّه!

- قيل: تبع حكيمٌ حكيمًا آخرَ في مسيرة سبعمئة فرسخ، لسبع كلماتٍ سأله عنهن: ما أرفع من السماء، وما أوسع من الأرض، وما أغنى من البحر، وما أقسى من الحجر، وما أحرُّ من النار، وما أبرد من الزمهرير، وما أثقل من الجبال؟

فأجابه: الحقُّ أرفعُ من السماء، والعدلُ أوسعُ من الأرض، وكرمُ النفس أغنى من البحر، وقلبُ الفاجرِ أقسى من الحجر، والحرصُ أشدُّ من حرارةِ النار، واليسيرُ من رحمةِ الله أشدُّ بردًا من الزمهرير[1]، وكلامُ الله أثقلُ من الجبال.

- قيل: كلُّ حيوان أذنه مستورةٌ فهو يبيض، وكلُّ حيوان ظهرت أذنه فهو يلد.

(١) هكذا ورد! ويأتي في مصدر آخر: الحاجة إلى اللئيم أبرد من الزمهرير.

رياض الألباب بمحاسن الآداب*

للسيوطي

قال مجير الدين بن تميم:

لمَ لا أهيمُ إلى الرياضِ وزهرها ... وأقيمُ منها تحت ظلِّ ضفافِ
والزهرُ يلقاني بثغرٍ باسمٍ ... والماءُ يلقاني بقلبٍ صافِ

- ولابن قرناص:

أيا حُسنها روضةً قد غدت ... جنوني فنونًا بأفنانها
أتى الماءُ فيها على رأسهِ ... لتقبيل أقدامِ أغصانها

- وقال صلاح الدين الصفدي:

وربَّ حمامةٍ في الدَّوحِ باتت ... تجيدُ النوحَ فنًّا بعد فنِّ
أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا ... فمنها النوحُ والعبراتُ منِّي

- وقال آخر:

إذا أعربَ المشتاقُ عن كُنهِ شوقهِ ... بسطرِ كتابٍ أو بلمعِ خطابِ
فإن اشتياقي لا يقوم بحملهِ ... رسولٌ ولا يحويهِ طولُ كتابِ

- غيره:

لو رمتُ أشرحُ أشواقي إليك كما ... قامت بأسرارها الأقلامُ والورقُ
ولو شرارةُ نارٍ من لظى كبدي ... طارتْ على العالم الإنسي لاحترقوا
وقطرةٌ من دموعي لو سبحنَ بها ... جمعُ البريةِ في تيَّارها غرقوا!

---

* رياض الألباب بمحاسن الآداب/ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)؛ تحقيق يحيى الجبوري.- عمّان: دار مجدلاوي، ١٤٣٤ هـ، ٢٨٢ ص.

مجموع أدبي مثل غيره من المجاميع المتنوعة، وهو في خمسة أبواب: في المحبة، في الغزل والنسيب، في الخمريات والروضيات، في الأدبيات، فيما لا يلزم من غير ما تقدَّم.

وقد استفدت من فقرات منه في قسمه الثاني، دون الأول، ففيه ما هو سيء وما لا يلتفت إليه. ومؤلفه علامة معروف مكثر من التصنيف، سبقت الاستفادة من كتب أخرى له في هذه السلسلة.

- وقال آخر:

نأيتم ولم تنأَ المودةُ بيننا فعندكم قلبي وذِكركمْ عندي
فإن تذكروني فهو ظني بفضلكم وإن تغفلوا عني فلا ريبَ في الودِّ

- وقال بعضهم:

والله لو جُمِعَ التشوُّقُ كلُّهُ من كلِّ قلبٍ والهٍ متألِّمِ
ما كان ممن شوقي إليك ووحشتي إلا كحبَّةِ خردلٍ من درهمِ

- ولآخر:

فيا من لا يجيبُ إذا كتبنا ولا هو يبتدينا بالكتابِ
أمَا في حقِّ صحبتنا لديكم وصفوِ ودادنا ردُّ الجوابِ؟

- غيره:

وردَ الكتابُ فسرَّني مضمونُهُ ووددتُ أني في الفؤادِ أصونُه
واشتقتُ كاتبَهُ كما اشتاق الكرى أجفانَ صبٍّ لا تنامُ جفونُه

- قال الحكيم: عللُ الأفهام أشدُّ من عللِ الأجسام.

- غيره:

ولله في عرضِ السماواتِ جنَّةٌ ولكنَّها محفوفةٌ بالمكارهِ

- آخر:

من يسألِ الناسَ يحرموهُ وسائلُ الله لا يَخيبُ
وكلُّ ذي غَيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموت لا يؤوبُ

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإقدام يرفعُ الأقدام.

ومعناه أن مَنْ أقدمَ ارتفع شأنه ومنصبه.

- نظر يومًا أبو سراعة العبسي إلى وجهه في المرآة، فرأى وجهًا قبيحًا، فقال: الحمد لله الذي لا يُحْمَدُ على مكروهٍ سواه.

- قال عبدالملك بن مروان لرجل: ما حاجتك؟

قال: إن عاملك يُسقطُ حرفًا من كلام الله تعالى، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [سورة التوبة: ١٠٣]، فهو يُسقطُ (مِنْ) ويأخذ أموالنا!

فعزل العامل عنهم، وأحسن إلى الرجل.

- قيل: أتى إلى بعض الأطباء عليل، فقال: آه آه، وآه أحاه، وا ويلاه يا الله، وا ذلّاه، وا مصيبتاه، وا موتاه، وا سقماه، وا طول علّتاه، ويلك يا طبيب، التفت إليَّ، أبصرني الحقني، متُّ، تلفتُ، هلكت.

فقال له الطبيب برفق: ما المرضُ الذي تشتكيه؟ فقال: مرض فؤادي وضرباته، ومغصُ دماغي وخفقاته.

فقال له الطبيب: كيف طبعك؟

قال: من أنحس الطباع وأردئهم.

قال: يا ولدي ما سألتك عن أجدادك ولا عن أصلك، وإنما سألتك عن طبع العادة؟

فقال: يا حكيم، يجيء أول النهار يابس يابس، حتى تهمُّ أن تقرقشه بأسنانك، ويجيء آخر الليل مرق مرق، حتى تهمُّ تلمسه بلسانك.

فقال الطبيب: ما بقي لي معك كلام، أنت قلت لي إن طبعك طبع نحس رديء.

- عبرَ طفيلي على قوم جالسين وهم يأكلون، فقال لهم: هل تحتاجون مساعدة؟ فقالو له: نعم، الدعاء. فقال: لا هنَّأكم الله!.
- ركب جحا يومًا بغلة، فأخذت به في غير مقصده الذي أراده، ولم يقدر على ردِّها، فتركها تغدو بنفسها، فلقيه صديقٌ له، فقال له: إلى أين عزمتَ يا أبا الغصن؟ فقال: في حاجة البغلة.
- رأى بعضهم رجلًا من آل عليّ يختالُ في مشيته، فقال: ليست هذه مشيةُ من أكرمك الله به. ثم قال له على الفور هذا البيت:

وما زادنا التعظيمُ إلا تواضعًا وأشرفُ أخلاقِ الرجالِ التواضعُ

- قال بعضهم وأجاد:

إن التواضعَ في الشريفِ بهاءُ والكِبْرُ فيه المقتُ والبغضاءُ
لا نقصَ في متواضعٍ ذي سؤددٍ بل يستقيمُ له به العلياء
فالزمْهُ عند ذوي العقولِ فإنه زينٌ ومجدٌ طارفٌ وسناءُ
والعُجبُ فيه آفةٌ ونقيصةٌ تُردي الفتى وكذلك الخيلاءُ
ودعِ التواضعَ عند ذي جهلٍ يرى أن التواضعَ ذلَّةٌ وقماءُ

- وقال آخر:

ولا تمشِ فوق الأرضِ إلا تواضعًا فكم تحتها قومٌ منكَ أرفعُ
وإن كنتَ في عزٍّ وحرزٍ ونعمةٍ فكم ماتَ من قومٍ هم منك أمتعُ

- قال الحسن البصري: إن حُسن الخلق، وحُسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار.
- وقال رجل لعمر: من السيِّد؟

قال: الجوادُ حين يُسأل، الحليمُ حين يُستجهل، الكريم المجالسة، الحسنُ الخُلق لمن جاوره.

- قال بعض السلف: الحسنُ الخُلقِ ذو قرابةٍ عند الأجانب، والسيءُ الخُلق أجنبيٌّ عند أهله.
- كان يُقال: لا تُطلعوا النساء على سرِّكم، يصلحْ لكم أمركم.
- حُكي عن ثعلب قال: دخلتُ على عبدالله بن سليمان بن وهب، وعليه خِلعُ الرضيِّ بعد النكبة، فلما مثلتُ بين يديه قال لي: يا أبا العباس:

نوائبُ الدهرِ أدَّبتني وإنما يوعَظُ الأديبُ
قد ذقتُ حلوًا وذقتُ مرًّا كذاكَ عيشُ الفتى ضروبُ
لم يمضِ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلا ولي فيهما نصيبُ
كذاكَ مَنْ صاحبَ الليالي في كلِّ خطبٍ له خطوبُ

- قال بعض البلغاء: خيرُ الأموالِ ما أخذتهُ من الحلال، وصرفته في النوال، وشرُّ الأموالِ ما أخذتهُ من الحرام، وصرفتهُ في الآثام.

وكان الأوزعي يتمثَّل بهذه الأبيات:

المالُ ينفدُ حلُّهُ وحرامهُ يومًا وتبقى بعدهُ آثامهُ
ليس التقيُّ بمتَّقٍ لإلهِهِ حتى يطيبَ شرابهُ وطعامُهُ
ويطيبَ ما يجني ويكسب أهله ويطيبَ من لفظ الحديثِ كلامُهُ

- قال بزرجمهر: إنْ كان شيءٌ فوق الحياة فالصحة، فإن كان شيءٌ مثلها فالغنى، وإن كان شيءٌ فوق الموتِ فالمرض، وإن كان شيءٌ مثله فالفقر.
- قيل في منثور الحكم: المالُ ملول.
- وقيل أيضًا: كثرةُ مال الميت تُغري ورثتهُ عليه.
- قال بعض البلغاء: الأرزاق المكتوبة لا تُنال بالشدَّة والمكالبة.
- وقال آخر: إذا طلبتَ العزَّ فاطلبه بالطاعة، وإذا طلبتَ الغنى فاطلبه بالقناعة، فمن أطاعَ الله تعالى نصره، ومن لزمَ القناعة زالَ فقره.

زاد سفر الملوك*

للثعالبي

من فضل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علمًا بقدرة الله تعالى وحكمته، ويدعوه إلى شكر نعمته، ويسمع العجائب، ويكسب التجارب، والسفر يفتح المذاهب، ويجلب المكاسب، ويشدُّ الأبدان، وينشِّط الكسلان، ويُسلي الثكلان، ويطرد الانتقام، ويشتهي الطعام، ويحطُّ سَورة الكبر، ويبعث على طلب الذكر.

ولولا السفر لبطلت التجارب والمكاسب، وانقطع الجلب والمنافع.

- ربما أسفر السفرُ عن الظفر، وتعذَّر في الوطن قضاء الوطر.
- نصحَ من قال:

خاطِرْ بنفسك كي تصيب غنيمةً إن الجلوسَ مع العيالِ قبيحُ

- من ألفاظ الدعاء للمسافر، لابن عبّاد: طوى الله لك البعيد، ولقَّاك العيشَ السعيد، وأصحبك السلامة غائبًا، والغنيمة آيبًا.
- وكتب أبو إسحاق الصابئ: طوى الله لمولاي بساط الأرض حتى يدنوَ بعيدُها، ويلينَ شديدُها، ويَبِينَ متونها، ويسهلَ حزنُها.
- كان يقال: ما خُلق الفراقُ إلا لتعذيب العشّاق!

---

* زاد سفر الملوك/ لأبي منصور عبدالملك بن محمد المنصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق عارف أحمد عبدالغني، زياد محمود فياض.- دمشق: دار كنان، ١٤٣٤ هـ، ١٣٨ ص.

أحد أنواع الأدب وأشكاله التي أفردها الأديب العلامة الثعالبي في كتاب، إذا صحَّت نسبة الكتاب إليه، وهو في آداب السفر، نصائح طبية وشذرات ذهبية، في أحاديث رجال، أمراء وأدباء وعامة، في مدح الشعر وذمه، والوداع فيه، والشوق، وتدبير المسافر، وفقه السفر، وذم الغربة، وإهداء السلام، ولطائف المكاتبات شعرًا ونثرًا، وذكر القدوم، والتهاني فيه، والتهاني بالحج، وإهداء القادمين من السفر... وما إلى ذلك.

والمؤلف أديب مشهور، سبق عرض كتب له، والتعريف به.

- قال أحمد بن إبراهيم الضبّي:

لا تركنْ إلى الفراقِ فإنه مرُّ المذاقِ
والشمسَ عند مغيبها تصفرُّ من ألمِ الفراقِ

- كان الحجّاج يقول: لولا فرحةُ الإياب، لما عذَّبتُ أعدائي إلا بالسفر!
- وقال بعض الحكماء: السقم والسفر والقتال أثلاث متقاربة، السفرُ سفينة الأذى، والسقم حريق الجسد، والقتال منبتُ المنايا.
- أنشد للعطوي:

أكرمْ رفيقكَ حتى ينقضي السفرُ إن الذي أنت موليه سينتشرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا ضجرًا إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجروا

- جاء في المثل: طول السفر ملالة، وكثرة المنى ضلالة.
- وفي المثل أيضًا: بطيب عشرةِ الرفيق تخفُّ مشقَّة الطريق.
- إنما سمِّي السفرُ سفرًا لأنه يُسفر عن أخلاق الناس.
- أراد الحطيئة سفرًا، فلما أراد الركوبَ قالت له امرأته: متى الرجوع؟ فأنشأ يقول:

عدِّي السنينَ إذا ارتحلتُ لرجعتي وذري الشهورَ فإنهنَّ قصارُ

فقالت على البديهة:

اذكرْ صبابتنا إليك وشوقنا واذكرْ بناتِكَ إنهنَّ صغارُ

فحطَّ رحله ولم يخرج.

- كان ابن عائشة القرشي ينشد في أسفاره:

إذا أنتَ رافقتَ الرجالَ فكن فتى كأنك مملوكٌ لكلِّ رفيقِ
وكن مثلَ طعمِ الماءِ عذبًا وباردًا على الكبد الحرَّى لكلِّ صديقِ

- قال المصنِّف:

ربَّ يومٍ هواؤه يتلظَّى فيُحاكي فؤادَ صبٍّ متيَّمِ
قلتُ إذ صابَ حرُّهُ حرَّ وجهي: ربَّنا اصرفْ عنّا عذاب جهنَّمِ

- قال بعضهم: ليس على أديبٍ غربة.
- قال علي بن عبيدة الخراساني: الثروةُ وطنُ الغريب، والعسرةُ غربةُ المقيم.
- وقال آخر: الغربةُ ذلَّة، فإن أعقَبَتْها قلَّةٌ فهي نفسٌ مضمحلة.
- قال بعض الحكماء: من أمارات العاقل برُّهُ بإخوانه، وحنينهُ إلى أوطانه، ومداراتهُ لأهل زمانه.
- ذكر بعضهم وطنه فقال: ذلك عشِّي الذي فيه درجت، ومنه خرجت.
- وقال آخر:

عليك سلامُ الله أمّا قلوبُنا فمرضى، وأما ودُّنا فصحيحُ

- وكتب الصاحبُ إلى أبي الحسن بن عبدالعزيز:

بالله قل لي أقرطاسٌ تخطُّ به من حلَّةٍ هو أم ألبستَهُ حُلَلا
بالله لفظُكَ هذا سالَ من عسلٍ أم قد صببتَ على أفواهنا عسَلا

- العربُ تقول للقادم: أوبةٌ وطوبة.

أي: أبتَ إلى أهلك في عيشٍ طيِّب.

- قال الجاحظ: قدم علينا جعفر بن القاسم البصرة، فقصدته من يومه، وقلت: لم أحبَّ أن يسبقني أحدٌ إليك.

فقال: لو جئتني غدًا كان أشهى للحديث، لأن أول يوم للقادم لنفسه وأهله، والثاني لخاصَّته، والثالث للعامة.

- ودَّع الحسنُ البصريُّ صديقًا له وعيناهُ تفيضُ من الدمع، وقال:

وما الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى رزيَّةُ مالٍ أو وداعُ حبيبِ

- وودَّع أبو تمام بعض إخوانه في شهر رمضان فقال:

لأودعنَّك ثم تدمعُ مقلتي إن الدموعَ هي الوداعُ الثاني
وأصومُ بعدك عن سواكَ وأغتدي متقلدًا صومينِ في رمضانِ

- للبحتري، وناهيك بقوله:

لغبتَ مغيبَ البدرِ عنا ومن يبتْ بلا قمرٍ يَذمُمْ سوادَ الغياهبِ
رحلتَ فلم آنسْ بمشهد شاهدٍ وأُبتَ فلم أحفلْ بغَيبةِ غائبِ

- وقال المصنف:

ما غبتَ عن ناظري ولكنْ غيَّبتَ عن ناظري الرُّقادا

- ولأبي عيينة المهلبي:

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالروحُ في غربةٍ والجسمُ في وطنِ
فليعجبِ الناسُ مني أنَّ لي بدنًا ولا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بَدَنِ

سجع المنثور*

لأبي منصور الثعالبي

- من الصفات الممدوحة:

غيثٌ إذا سما، وبحرٌ إذا طما، وليثٌ إذا عدا، وبدرٌ إذا بدا.

خيرهُ مأمول، وشرُّه مأمون، وعدوُّهُ مغلول، وبرُّهُ موصول.

إذا أعطى أوسع، وإذا أطعم أشبع، وإذا عاقب أوجع.

كالبدرِ في بهائه، والرمحِ في استوائه، والسيفِ في إمضائه، والغصنِ في قوامه، والبدرِ في تمامه.

كالمسكِ إن خبَّأته عبق، وإن نشرتهُ دفق.

سريع الإجابة، كثير الإصابة.

لسانه فصيح، وكلامه صريح، ووعدهُ نجيح، ووجهه صبيح.

يروي من الحديث أتقنه، ومن الشعر أرصنه، ومن كلِّ علمٍ أحسنه.

له من المنطق أعذبه، ومن الجوابِ أصوبه، ومن المعاني أقربه.

---

* سجع المنثور/ لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)؛ دراسة وتحقيق أسامة محمد البحيري.ـ الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٤ هـ، ١٣١ ص.

قال مؤلفه متحدثًا عن كتابه: "هذا أدام الله عزَّك، كتاب لطيف في معناه، يشتمل على نيف [لعلها نتف] من الأخبار في الصفات الممدوحة والمذمومة، وطرف من الأحكام والأمثال المختصرة المنثورة، وأبيات من الشعر منتخبة مأثورة، وأدعية مسجوعة بألفاظ متبوعة، جمعتها – على اختصارها – من كتب شتى لتعرفها، وألفتها بعد تفريقها لتحفظها وتعيها، ولتدخلها في مكاتباتك إذا كاتبت، وتستعين بها في مخاطباتك إذا خاطبت، فكن بها سعيدًا، واحْظَ بها رشيدًا".

ويقع الكتاب في خمسة عشر بابًا، أكبرها باب "الصفات الممدوحة"، وأصغرها باب السجع بـ "ليس".

وقد قسمه – في الغالب – إلى عدة فقرات، فتكون كل فقرة من جمل نثرية مسجوعة، وختم كل فقرة ببيتٍ أو بأبيات من الشعر تناسبها في المعنى، وتكون بمثابة القفل لها، كما يقول المحقق.

والمؤلف أديب مشهور، سبق التعريف به وعرض كتب له في هذه الموسوعة.

يتواضعُ عن رفعة، ويزهدُ عن قدرة، ويُنصفُ عن قوَّة.

كم له من يدٍ بيضاء، وصنيعةٍ زهراء، وفائدةٍ غرَّاء.

رفضَ المنام، وركبَ الظلام، حتى نال الرغائبَ العظام.

- ومن الصفات المذمومة:

لا يعرفُ يمينه من يساره، وإقبالَهُ من إدباره.

فدعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ولو سوَّدتَ وجهكَ بالمدادِ

لا يُرجى خيره، ولا يؤمنُ ضرُّه.

ضلَّ عن سواءِ السبيل، وغفل عن فعال الجميل.

جاره مهمل، وبابه مقفل.

عقله ضعيف، ورأيه سخيف، وحِلمهُ خفيف.

- ومن الأبواب التالية:
- لُقطات الأدب، خيرٌ من قراضات الذهب.
- الأيام صحائف أعمالكم، فخلِّدوها بأفضل أعمالكم.
- خلِّ الطريق لمن لا يطيق.
- كفرُ النعمة لؤم، وصحبةُ الأحمق شؤم.
- يندملُ من المظلوم جراحُه إذا انكسرَ من الظالم جناحه.
- من طال صبره ضاق صدره.
- من لم تصلحه الإلانة، قوَّمته الإهانة.
- من أحبَّك نهاك، ومن أبغضك أغراك.
- من أحب الحكمة تذلَّل للحكماء.
- لبعضهم:

من لم يُنِلْكَ الخيرَ في حياتهِ لم تَبكِ عيناك على مماتهِ

- لا خير في وعدٍ مبسوط، وإنجازٍ مربوط.
- ربَّ كلمةٍ سلبتْ نعمة، وجلبتْ نقمة.
- ربَّ ضنكٍ أفضى إلى ساحة، وكدٍّ أدَّى إلى راحة.
- إذا كنتَ بطِنًا، فعدَّ نفسك زمِنًا.
- لم يَفُتْ من لم يمت.
- لبعضهم:

فكنتُ أعدُّكَ للنائباتِ فها أنا أطلبُ منكَ الأمانا

- لآخر:

كنتُ من كربتي أفرُّ إليهم فهم كربتي فأين الفرارُ؟

- غيره:

يرى عاقباتِ الأمرِ والرأيُ مقبلٌ كأن له في اليومِ عينًا على غدِ

- ولآخر:

لا تحمدنَّ امرءًا حتى تجرّبهُ ولا تذمَّنَّهُ من غيرِ تجريبِ

- ولغيره:

لا يكنْ برقُكَ برقًا خُلبًا إن خيرَ البرقِ ما الخيرُ معه

- آخر:

وكلُّ حصنٍ وإنْ دامتْ سلامتهُ على دعائمهِ لا بدَّ مهدومُ

- آخر:

لا تقبلِ الصدقَ من الكذّابِ وإن أتَى بمنطقٍ عُجابِ

- آخر:

لَلُقمةٌ بجريْشِ الملحِ تأكلها ألذُّ من تمرةٍ تُحشى بزُنبورِ

- اللهم جمِّلْ أمري ما أحييتني، وعافني ما أبقيتني، وبارك لي فيما خوَّلتني، واحفظْ عليَّ ما أوليتني، وارحمني إذا توفَّيتني، وآنسْ وحشتي إذا رمستني.

سَفَطُ المُلَح وزَوْحُ الترَح*

لابن الدجاجي

قال ابن شهاب: العلمُ أفضلُ من العمل لمن جهل، والعمل أفضلُ من العلم لمن علم.

- قيل لحكيم: ما النعمة؟

قال: الأمن، فلا لذَّة لخائف. والغِنى، فلا لذَّةَ لفقير. والعافية، فلا لذَّة لسقيم.

قالوا: زدنا. قال: لا أجد مزيدًا.

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الراحةُ للرجال غفلة، وللنساء غُلمة.
- وقال بزرجمهر: إن يكن الشغلُ مجهدة، فالفراغ مفسدة.
- كلَّم أعرابيٌّ خالد بن عبدالله القسري، فخلط في كلامه، فلما أحسَّ من نفسه بذلك

قال: لا تلمني أيها الأمير، فإن معي ذلَّ الاحتياج، ومعك عزُّ الاستغناء عني.

- قال الجنيد رحمه الله: إنما تُطلب الدنيا لثلاثة أشياء: للغنى، والعزّ، والراحة.

فمن زهدَ فيها عزّ.

ومن قنع استغنى.

ومن قلَّ فيها سعيه استراح.

---

* سفط الملح وزوح الترح/ لسعد الله بن نصر بن سعيد بن الدجاجي؛ تحقيق خالد أحمد الملا السويدي.- دمشق: مؤسسة بين النهرين للإنتاج الفني والثقافي، ١٤٢٦ هـ، ٢٣٦ ص.

وصف المؤلف كتابه في مقدمته فقال: ضمَّنتُ هذا المجموع فنونًا من أخبار الأنبياء والأولياء، ووصايا العقلاء والحكماء، وحكايات الخلفاء والوزراء، وآثار النبلاء والكرماء، وألفاظ النصحاء والفضلاء، وأجوبة الألبّاء والفهماء، وقرائح الفقهاء والعلماء، ومنظوم طرائف الخطباء والشعراء.

قال: ولم أقصد استيفاء فن ولا استطراده، ولا إفراد معنى من أشكاله وأضداده، بل أودعته محاسن ما وقع لي على اختلافه، وتنويع معانيه وأصنافه، ووسمته "بسفط الملَح وزَوح الترح" ليكون راحة عند عدم المؤانسة، وعونًا على المفاكهة والمجالسة، والله بكرمه يتجاوز لنا عن الخطايا والزلل، ويوفِّقنا لصالح القول والعمل...

ومؤلفه فقيه واعظ نبيل، كان يجالس الصوفية ويحضر معهم السماعات، توفي سنة ٥٦٤ هـ.

- قال عبدالملك بن مروان: خمسٌ يَقبحن من خمسة: ضيقُ ذرع الملوك، وسرعةُ غضب العلماء، وفحش النساء، ومرضُ الأطباء، وكذب القضاة.
- لنصر بن أحمد:

ولي حاجةٌ لم أُطقْ ذكرها حياءً وقد أخذتُ بالكظم
أهابُكَ فيها لأن الكريم يُهابُ وإن كان لا يحتشم
لساني تلجلج عن ذكرها فترجمتُها بلسانِ القلم

- يقال: ثلاثة أشياء تورثُ المحبَّة: الدِّين، والتواضع، والبذل.
- كان الحكم بن عبد الماء الشاعر هجّاء، وكان أعور أحدب. قال العتبي: إنه ترك الوقوف بأبواب الملوك، وكان ينفذ عصاهُ وعليها مكتوب حاجته من رسول، فلا تقفُ له حاجة، ولا يُحبَسُ له رسول، فقال في ذلك يحيى بن نوفل:

عصا حَكمٍ في الدارِ أولُ داخلٍ ونحن على الأبواب نُقصى ونُحجَبُ
وكانت عصا موسى لفرعون لآيةً وهذا لعمرو الله أدهى وأعجبُ
تُطاعُ ولا تُعصى ويُحذَرُ سخطُها ويُرعَبُ في المرضاءِ فيها ويُرهَبُ

- يقال: شيئان لا يفترقان: الحرص والشرّ. وشيئان لا يجتمعان: القناعة والحسد.
- قال أبو العتاهية:

إذا كنتَ عن أن تُحسنَ الصمتَ عاجزًا فأنت عن الإبلاغ بالقولِ أعجزُ
يخوضُ أناسٌ في الحديث ليوجزوا وللصَّمتُ في بعض الأحايينِ أوجزُ

- قال المنصور: عقوبة الحكماء التلويح، وعقوبة السفهاء التصريح.
- قال كسرى أنوشروان: من لم يكن في داره بستان، أو قدَّامه ريحان، أو هو على نهرٍ جار، أو عنده صبيٌّ يلاعبه، فمات، فإنما موتهُ من الغمّ![1].
- قال حُضَين بن المنذر:

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ ورثَ المكارمَ عن أبٍ فأضاعها

(١) هكذا ورد! والمعنى مفهوم.

أمرتهُ نفسٌ بالدناءةِ والخنا ونَهْتْهُ عن طلبِ العُلا فأطاعها
وإذا أصابَ من الأمورِ كريمةً بنى الكريمُ لها المكارمَ باعها

- قال بعض الحكماء: خصلتان ليست لصاحبها راحةٌ إلا مفارقتهما: الطعام المخوف، والصاحبُ الخائن.
- من كلام أبي عيسى الورّاق: من ظلم في المناظرة أنصفتْ منه الحجَّة، ومن قلَّد في مذهبه حكَّمَ الخصومَ في نفسه، ومن عدمَ القصدَ في نظرِهِ بَعُدَ عن إدراكِ بقيَّته، ومن وضع شيئًا في غير موضعه واعتقد في غير حقيقته، فقد ظلم نفسه وعقله، ودلَّ على سوء اختياره.
- قال بعض البلغاء: أوسعُ ما يكونُ الكريم مغفرةً إذا ضاقت بالمذنب المعذرة.
- قال رجلٌ لابنه: تدري لمَ سمَّيتكَ معروفًا؟ قال: لا يا أبت، قال: لئلّا تنسى اسمك.
- ذمَّ أعرابيٌّ رجلًا فقال: صغَّرَهُ في عيني كبرُ الدنيا في عينيه.
- قيل لبعض الحكماء: من أحقُّ بالرحمة؟ قال: رجلان: عاقلٌ بُلي بجاهل، وكريمٌ بُلي بلئيم.
- يقال: المظلومُ حَسنُ الظنِّ بالأيام، والظالمُ وجلُ القلب بالانتقام.
- لا خيرَ في وعدٍ مبسوط، وإنجازٍ مربوط.
- قال الأحنف بن قيس: ما رُددتُ من حاجةٍ قط. قيل له: ومن ذا الذي يردُّك يا أبا بحر! قال: ليس كما ظننتم، ولكني ما سألتُ قطُّ إلا ما يجوزُ ويسهل.
- لعبدالله بن عبيدالله:

الحرُّ لا يشتكي شيئًا وإن سُمِعَتْ شكواهُ لم تكُ إلا دون بلواهُ
والمرءُ تكشفُ عيناهُ بلحظهما نجواهُ في قلبهِ من قَبْلِ نجواهُ

- يُقال: لا تنجعُ الحِكَمُ في الطباع القاسية، كما لا يزكو الزرعُ في البقاع الجاسية.
- قيل لمريض: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي!
- قيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟

فقال: أن تقدر على المعروف فلا تصطنعه حتى يفوت.

- وقال أبو عبدالحميد: من أضاع الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فَوتها.

- قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى.

قال: الخُلق الرديء، واللسان البذيء.

- قال الشاعر:

اعملِ الخيرَ ما استطعتَ وإن كان يسيرًا فلن تحيطَ بكلِّهِ
ومتى تفعلُ الكثيرَ من الخيرِ إذا كنتَ تاركًا لأقلِّهِ؟

- قال بعضهم: الدنيا إن بقيتَ لها لم تبقَ لها.
- قال بعض البلغاء: الوجوه مرايا، تُريك أسرار البرايا.
- قيل: إن أبا دلف العجلي أقام ببابه أعرابيٌّ شهرًا يستمنحه، فلم يصلهُ بشيء، فكتب إليه:

ماذا أقولُ إذا سُئلتُ وقيل لي ماذا لقيتَ من الجوادِ المفضِلِ
إن قلتُ أعطاني كذبتُ وإن أقلْ بخل الجوادُ بماله لم يَجْمُلِ
فاخترْ لنفسك كيف شئتَ فإنني لا بدَّ مخبرهم وإن لم أُسألِ

فنفذَ إليه بعشرة آلاف درهم، وكتب جوابه:

أعجلتنا فأتاك قَلُّ عطائنا ولو انتظرتَ أتاكَ غيرُ مقلَّلِ
فخذِ القليلَ وكنْ كأنك لم تَسَلْ ونكونُ نحن كأننا لم نُسأَلِ

- قال بشر بن الحارث الحافي: أشدُّ الأعمال ثلاثة: الجودُ مع القلَّة، والورع في الخلوة، وكلمةُ حقٍّ عند من يُخاف.
- وجدَ منقورٌ في جبلٍ بناحية إصطخر: رُبَّ مغبوطٍ بنعمةٍ هي داؤه، ومرحومٍ من سقمٍ هو شفاؤه، ومحسودٍ على رخاءٍ هو بلاؤه.
- لأبي الفضل الربعي:

العينُ تُبدي الذي في نفسِ صاحبها من الشناءةِ أو ودًّا إذا كانا
إن البغي له عينٌ يقلبها لا يستطيعُ لما في النفسِ كتمانا
وعينُ ذي الودِّ ما تنفكُّ مقبلةٌ ترى لها محجرًا بشًّا وإنسانا

- ولآخر:

هديتي تصغرُ عن همَّتي وهمَّتي تكبرُ عن مالي
فخالصُ الودِّ ومحضُ الوفاءِ أفضلُ ما تهديهِ أمثالي

- غيره:

إني كثرتُ عليه في زيارتهِ والشيءُ مستثقلٌ جدًّا إذا كَثُرا
ورابني مه أني لا أزالُ أرى في طرفهِ قِصَرًا عني إذا نَظَرا

- قال بعض الحكماء: إياك ومعاداة الرجال، فإنها لن تعدمك مكرَ حليم، أو مفاجأة لئيم.
- قال المنصور: إذا أحببتَ المحمدةَ من الناس بلا مؤونة فالقَهم ببِشرٍ حسن.
- اشتكى أهل دمشق إلى ابن أبي الدرداء قلة ثمرهم، وتغيَّر أشجارهم، فقال: أطلتم حيطانها، وأكثرتم حرّاسها، فجاء البلاءُ من فوقها.
- سأل قُبَادُ الملِكُ بعضَ الحكماء فقال: أخبرني مَن أعدلُ الناس، وأجورُ الناس، وأحمقُ الناس، وأكيس الناس، وأسعد الناس؟

فقال الحكيم: أما أعدلهم فمن أنصف من نفسه، وأما أجورهم فمن رأى جوره عدلًا، وأما أحمقهم فمن يصدِّق بما لا يكون، وأما أكيسهم فمن أخذ للأمر أهبته قبل نزوله، وأما أسعدهم فمن خُتم له في عاقبته بخير.

- قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها. فقيل: كيف ذلك؟

قال: أنظر إلى أبيها، وأخيها، فإنها تجيء بأحدهما.

- أوصى الديان بن قطن الحارثي ابنته فقال: يا بنية، لا يعلونَّ صوتك على صوت زوجك، ولا يكونن أمرك على أمره، واعلمي أن كرامَ النساءِ المغلوباتُ لا الغالبات، فإن أعطاكِ يسيرًا فاستزيدي ولا تحقري، وإن أكثرَ لكِ فاشكري ولا تبطري، وإن ساءتكِ منه خليقة فكوني به رفيقة، واعلمي أن جوادًا معسرًا خيرٌ من عشرة مياسرَ بخلاء.
- رأى أعرابي امرأة في شارة وهيئة، فظنَّ بها جمالًا، فلما أسفرت إذا هي غول، فقال:

فأظهرها ربي بمنٍّ وقدرةٍ ... ولولا ذاك متُّ من الكربِ

فلما بدتْ شُحْتُ من قبح وجهها وقلت لها الساجورُ خيرٌ من الكلبِ[1]

- لبعض الشعراء:

وما الحليُ إلا زينةٌ لنقيصةٍ يتمِّمُ حُسنًا حيث ما الحسنُ قصَّرا
فأما إذا كان الجمال موفَّرًا لحسنِكَ لم يحتجْ إلى أن يزوَّرا

- قال الحسن البصري: لا يخرجُ العبدُ من الدنيا إلا بثلاث حسرات: حسرة أنه لم يدرك ما أمَّل، وأخرى أنه لم يشبع بما جمع، وأنه لم يحسن الزادَ فيما يُقدم عليه.
- لبعضهم في هجاء قاض:

إذا ما صُبَّ في القنديل زيتٌ تحوَّلتِ القضيَّةُ للمقندلْ
وعند قضاتنا حُكمٌ وعلمٌ وزرعٌ حين ترشوهم يُسَنْبِلْ

- قيل للشعبي: كيف أصبحت؟

قال: بين نعمتين: خيرٍ مشكور، وشرٍّ مستور.

- يقال: من كتم السلطانَ نُصحه، والأطباءَ مرضه، والإخوانَ بثَّه، فقد خان نفسه.
- قيل للعتابي: إن فلانًا قد مات، فقال: نحن الأمواتُ لفقده، وهو الحيُّ لمجده.
- قال الأصمعي: رأيتُ شيخًا في جامع البصرة، فتفرَّستُ فيه أنه شاعرٌ أو منجِّم، فقال: كلاهما. فقلت: أنشدني شيئًا من أشعارك. فقال: تركتُ الشعر. فقلت: انشدني شيئًا في تركك إياه. فأنشدني:

قالوا تغيَّر حاله أو عقلهُ والهمُّ يمنعني من الأشعارِ
أما الهجاءُ ففي مشيبي واعظٌ والمدحُ قلَّ لقلَّةِ الأحرارِ

- قيل لأعرابي: ما السيِّدُ فيكم؟

قال: من أفشى سلامه، وملكَ كلامه، وبذل طعامه.

---

(١) الساجور: القلادة توضع في عنق الكلب.

- في الأمثال: أن عجوزًا كان لها دجاجة، كانت تعيش بما تلتقط من الأرض، وتبيضُ في كلِّ يومٍ بيضةً تنتفعُ بها العجوز، فقالت العجوز: لو زدتُ في علفها لكانت تبيضُ في كل يوم بيضتين. فجعلت تواسيها في قوتها، فسمنت الدجاجة، فانقطع بيضها بالكلية. وهذا مثلٌ بأن الإحسان ربما ضرَّ!
- من قلَّ دقيقهُ قلَّ رفيقه.
- قيل لعدي بن حاتم: أي الأشياء أثقل؟ قال: تجربة الصديق، ومسألة اللئيم، وردُّ السائل.
- قال أعرابي آذاه بعضهم:

لا يغضبُ الحرُّ على سفلةٍ والحرُّ لا يغضبهُ النذلُ
إذا لئيمٌ سبَّني جهدهُ أقولُ زدني فلي الفضلُ

- قال بعض الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر.

الفرج بعد الشدة*

للقاضي التنوخي

قال بعض الحكماء: الحيلة فيما لا حيلة فيه: الصبر.

قال بعض عقلاء التجار: ما أصغر المصيبة بالأرباح، إذا عادت بسلامةِ الأرواح.

والعامة تقول: نهرٌ جرى فيه الماء، لا بد أن يعود إليه.

- روى أبو بكر الصولي عن البرقي قال: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك.

  قال: فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجلّاء، فَحُدِّثَ بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار.

- عن أبي يحيى إسحاق العدواني، قال: كنا بإزاء آزرمهر، عند مدينة الكرج، وقد زحف إلينا في ثمانين فيلًا، فكادت تنقض الصفوف، وتشتت الخيول، وكان أميرنا محمد بن القاسم، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص، وأمراء الأجناد، فنهضوا، فما

---

* الفرج بعد الشدَّة/ لأبي علي المحسِّن بن علي التنوخي؛ حققه وعلق عليه عادل شوشة.- المنصورة: مكتبة فياض، ١٤٣٤ هـ، ٨١٦ ص.

كتاب مشهور، ذو موضوع حيوي، منتشر بين العامة والخاصة، فيه ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان كما ورد في القرآن الكريم، وما جاء في الآثار من الفرج بعد اللأواء، ومن نجا من محنة بقول أو دعاء أو ابتهال، ومن استعطف غضب السلطان بصادق لفظ، ومن خرج من سجن أو أسر، ومن فارق شدَّة إلى رخاء، ومن استنقذ من كربٍ وضيق خناق، ومن قارب أن يقتل فكان الخلاص إليه من القتل أعجل، ومن شارف الموت بحيوان مُهلِك رآه فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه، ومن اشتدَّ بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله تعالى بأيسر سبب، ومن امتحن من لصوص بسرق فعوِّض، ومن ألجأه خوف إلى هرب واستتار فأُبدل بأمن ومستجد نعم، ومن نالته شدَّة في هواه فكشفها الله تعالى عنه وملَّكه من يهواه، وباب أخير فيما اختير من مُلَح الأشعار في أكثر معاني ما تقدَّم من الأمثال والأخبار.

وقد انتقيت منه بعض الأخبار القصيرة، وتركت الطويلة، وسبق أن أوردت أخبارًا مثلها في هذه السلسلة.

ومؤلفه أديب قاض عالم من البصرة، ولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم، وسكن بغداد. وهو صاحب "نشوار المحاضرة" و"المستجاد من فعلات الأجواد" وغيرهما. ووفاته في عام ٣٨٤ هـ.

استطاعوا، فلما أعيته الأمور، نادى مرارًا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فكشف الله الفيلة، وسلَّط عليها الحرّ، فأنضحها، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سوّاسها، ولا أصحابها حبسها، وحملت خيلنا، وكان الفتح بإذن الله تعالى.

- وقف أحمد بن عروة بين يدي المأمون لما عزله عن الأهواز، فقال له: أخربتَ البلاد وقتلتَ العباد، لأفعلنَّ بك وأصنعن.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما تحبُّ أن يفعله الله بك إذا وقفتَ بين يديه، وقد قرعك بذنوبك؟ قال: العفو، والصفح.

قال: فافعل بعبدك، ما تحبُّ أن يفعله الله بك.

قال: قد فعلت، ارجع إلى عملك، فوالٍ مستعطف، خيرٌ من والٍ مستأنف.

- ذكر ابن عبدوس في كتاب الوزراء: أن عاملًا للمنصور على فلسطين كتب إليه: أن بعض أهلها وثب عليه، واستغوى جماعة منهم، وعاث في العمل.

فكتب إليه المنصور: أن قيده، وأنفذه إلي. فأنفذه. فلما مثل بين يديه قال المنصور: أنت المتوثِّبُ على عامل أمير المؤمنين، لأبرينَّ لحمك من عظمك. وكان شيخًا كبيرًا، ضئيل الصوت، فقال:

أتروّضُ عرسكَ بعدما هرمت ومن العناء رياضةُ الهرم

فلم يفهم المنصور ما قال، فقال: ما يقول يا ربيع؟ قال: إنه يقول:

العبد عبدكم والمالُ مالكم فهل عذابكَ عني اليومَ مصروفُ

قال: يا ربيع قد عفوتُ عنه، خلُّوا سبيله. وأحسنَ إليه.

- حدثني أبو الفرج المخزومي، المعروف بالببغاء الشاعر، قال: كان بحلب بزّاز يعرف بأبي العباس بن الموصول، اعتقله سيف الدولة بخراج كان عليه مدة، وكان الرجل حاذقًا بالتعبير للرؤيا.

فلما كان في بعض الأيام، كنت بحضرة سيف الدولة، وقد وصلت إليه رقعة البزاز يسأله فيها حضور مجلسه، فأمر بإحضاره.

وقال: لأي شيء سألت الحضور؟

فقال: لعلمي أنه لا بد أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم.

قال: ومن أين علمت ذلك؟

قال: إني رأيت البارحة في منامي في آخر الليل، رجلًا قد سلم إليَّ مشطًا، وقال لي: سرّحْ لحيتك، ففعلت ذلك، فتأولت التسريح سراحًا من شدَّة واعتقال، ولكون المنام في آخر الليل حكمت أن تأويله يصحُّ سريعًا، ووثقت بذلك، فجعلت الطريق إليه مسألة الحضور، لأستعطف الأمير.

فقال له: أحسنتَ التأويل، والأمر على ما ذكرت، وقد أطلقتك، وسوَّغتك خراجك في هذه السنة.

فخرج الرجل يشكره ويدعو له.

- كتب سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن بن وهب فيما حكاه محمد بن عبدوس:

هل رسولٌ وكيف لي برسولٍ ... إن ليلي ليلُ السقيمِ العليلِ
هل رسولٌ إلى أخي وشقيقي ... ليت أني مكان ذاك الرسولِ
يا أخي لو ترى مكاني في الحبـ ... ـسِ وحالي وزفرتي وعويلي
وعثاري إذا أردتُ قيامًا ... وقعودي في مثقلاتِ الكبولِ
لرأيت الذي يغمُّك في الأعـ ... ـداءِ أن يسلكوا جميعًا سبيلي
هذه جملةٌ أراني غنيًّا ... معها عن أذاكَ بالتفصيلِ
ولعلَّ الإله يأتي بصنعٍ ... وخلاصٍ وفرجةٍ عن قليلِ

وخرج من حبس الواثق.

- روى علي بن القاسم عن رجل قوله: رأيتَ في المنام أيام الطاعون أنهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازة، وأنا وعيالي اثنا عشر نفسًا. فمات عيالي، وبقيت وحدي،

فاغتممتُ، وضاق صدري، فخرجت من الدار ثم رجعت في الغد، فإذا لصٌّ قد دخل ليسرق، فطُعن في الدار، فمات، وأُخرجَتْ منها جنازته. وسُرِّي عني ما كنتُ فيه، ووهب الله العافية والسلامة.

- ذكر أن عثمان بن طلحة ركبه دين فادح، مبلغه ألفا دينار، فأراد الخروج إلى العراق؛ لمسألة السلطان قضاءه عنه. فلما عزم على السفر اتصل خبره بأخيه جعفر بن طلحة، فقال: لا بارك الله في مالٍ بعد عثمان. فدخل على نسائه، فجعل يخلع حليهنّ، حتى جمع له أكثر من ألفي دينار، فدفعها إليه. فقضى دَينه، وأقام.
- كان عبدالله بن الحجاج الثعلبي من أشراف قيس، وكان مع ابن الزبير، فلما قُتل دخل عبدالله بصفة أعرابي على عبدالملك بن مروان ليلًا وهو يتعشى مع الناس، فجلسَ وأكل معهم، ثم وثب فقال:

منع القرار فجئت نحوك هاربًا جيشٌ يجر ومقنبٌ يتلمَّعُ

فقال: أي الأخابيث أنت؟ فقال:

ارحم أصيبيةً هُديتَ كأنهم حجلٌ تدرَّجَ بالسرية جوعُ

فقال: أجاع الله بطونهم، فأنت أجعتهم، فقال:

مالٌ لهم مما يضنُّ جمعتهُ يومَ القليبِ فحيزَ عنهم أجمعُ

فقال: كسبُ سوءٍ خبيث، فقال:

ولقد وطئت بني سعيد وطأة وابن الزبيرِ فعرشهُ متضعضعُ
وأرى الذين رجوا تراثَ محمدٍ أفلتْ نجومُهم ونجمكَ يسطعُ

فقال: الحمدُ لله على ذلك.

فقال:

أدنو لترحمني وتقبلَ توبتي وأراكَ تدفعني فأين المدفعُ

فقال: إلى النار، فقال:

ضاقت ثيابُ الملبسين فأَوْلِني عُرفًا وألبسني فثوبكَ أوسعُ

قال: فرمى إليه بمطرف خزّ كان عليه.

فقال عبدالله: أمنتُ والله.

فقال له عبدالملك: كن من شئتَ إلا عبدالله بن الحجاج.

فقال: أنا والله هو، وقد أمنتني، أكلتُ طعامك، ولبستُ ثيابك، فأيُّ خوفٍ عليّ؟

فقال: ما هداك إلا جَدُّك. وأمضى له الأمان.

- حضر الشعبيُّ عند مصعب بن الزبير وهو أمير الكوفة، وقد أُتي بقوم، فأمر بضرب أعناقهم، فأُخذوا ليُقتلوا، فقال له الشعبي: أيها الأمير، إن أول من اتخذ السجن كان حكيمًا، وأنت على العقوبة أقدرُ منك على نزعها.

  فأمر مصعب بحبس القوم، ثم نظر في أمرهم بعد، فوجدهم برآء، فأطلقهم.

- ووجدت في بعض الكتب: أن عيسى بن موسى كان يحب زوجته حبًّا شديدًا، فقال لها يومًا: أنت طالق إن لم تكوني أحسنَ من القمر.

  فنهضت، واحتجبت عنه، وقالت: قد طلَّقتني، فبات بليلةٍ عظيمة.

  فلما أصبح غدا إلى المنصور، وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تمَّ طلاقها، تلفت نفسي غمًّا، وكان الموت أحبَّ إليَّ من الحياة.

  وظهر للمنصور منه جزع شديد، فأحضر الفقهاء واستفتاهم، فقال جميع من حضر، قد طُلِّقت، إلا رجلًا من أصحاب أبي حنيفة، فإنه سكت.

  فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [سورة التين: ١-٤]، فلا شيء أحسن من الإنسان.

  فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرَّج الله تعالى عنك، والأمر كما قال، فأقم على زوجتك. وراسلها أن أطيعي زوجك، فما طُلِّقت.

الفصوص في المُلَح والنوادر والعلوم والآداب*

لصاعد الربعي

رُوي عن إياس بن معاوية أنه قيل له: بمَ سُدتَ الناس، وفاق كلامُكَ عليهم؟

فقال: بأني كنتُ كتبتُ أحسنَ ما سمعت، وحفظتُ أحسنَ ما كتبت، وحدَّثتُ بأحسن ما حفظت.

- قال العتبي: جلس معنُ بن زائدة في جيشٍ أراد تنفيذه لبعض الوجوه، فدفع إلى رجل من الجند سيفَ سوء، فقال له: أصلح الله الأمير، أُعطَى غيرَ هذا السيف.

فقال معن: سبحان الله! أوَ ما تعلمُ أن السيوفَ مأمورة؟

قال: بلى، ولكن هذا مما أُمِرَ ألّا يَقطع!

---

* الفصوص في المُلَح والنوادر والعلوم والآداب/ لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (ت ٤١٧ هـ)؛ تحقيق محمد السيد عثمان.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٢ هـ، ٢مج.

أورد فيه فنون العلوم والآداب. وضمَّنه كثيرًا من محاسن الكلام، وملحه ونوادره، مع تفسير آيات من القرآن الكريم، وشرح لأحاديث نبوية شريفة، وتركيز على الناحية اللغوية، وخاصة عند شرح أبيات الشعر، وهو أكثر ما في الكتاب.

وقد صنَّفه على نسق الأمالي لأبي عليّ القالي.

وذكر في مقدمته أنه ألَّف كتابه من حفظه وما لا يوجد مثله في الكتب، فقال: "أمرني أدام الله نصره (يعني المنصور بن أبي عامر) أن أجمع له من حفظي ما استطفَّ من نخيلةِ شعر، وغريبةِ خبر، وعقيلةِ كَلِم، ندَّت عن الكتب المتداولة، كالكامل وغيره من كتب النوادر".

وقال في ٢/ ٣٧٥: "ضمنت لك في صدر الكتاب ألا أضمِّنه إلا منقولًا من خط عالم أو مأخوذًا عن لفظه".

ويحكى أن المؤلف كان يتهم بالكذب، ولهذا رمى المنصور (الملك، القائم بأعباء دولة الخليفة المرواني) كتابه الفصوص هذا في النهر، حتى قال بعض الظرفاء:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كلُّ ثقيلٍ يغوص

فلما بلغ إليه قال:

عاد إلى عنصره إنما يخرجُ ... من قعر البحور الفصوص

والمؤلف أديب قاص، عارف بالموسيقى والغناء، ولد في الموصل، وانتقل إلى الأندلس، فأكرمه المنصور، وألف له كتبًا وحكايات، ولم يحضر مجلسًا لغيره بعد وفاته، وتوفي بصقلية سنة ٤١٧ هـ.

فاستضحك معنٌ من قوله، وعاضَه من سيفه، ونقله إلى أعلى من رتبته، ووصله، وزاد في رزقه.

- روى ابن الأعرابي أن ودفةَ الأسديَّ دخل على معن بن زائدة الشيباني، فلما مثل بين يديه قال له: إنْ رأيتَ أكرمك الله أن تضعني من نفسِكَ بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك، فإنك قد بلغتَ حالًا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصُّفِ الرجال بعدك لم يكن كبيرًا، وإني قد قدَّمتُ الرجاء، وأحسنت الثناء، ولزمتُ الحفاظ. ثم قال شعرًا، فأعطاه تختًا من ثيابه.
- أنشد أبو الحسن جحظة لعزيز الصوفي المعروف بالعاشق:

يا سائلي كيف حالي في المغيب وما ... لقيتُ فيكَ من الأشجانِ والحزَنِ
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا ... كنتُ إنْ كنتُ أدري كيف لم أكنِ

وأنشد لخالد الكاتب:

قالت وقد برَّحَ بي وجدُها ... أنت الذي هتكتني في الملا
قلتُ: أنا؟ قالت: بلى أنت هو ... قلتُ: أنا؟ قالت فمن هو أنا؟

- الخطيطة: الأرض التي لم تُمطَر بين أرضَين ممطورتين.
- قال بعضهم:

لعمرك إنني وأبا رباحٍ ... على طولِ التهاجرِ منذُ حينِ
ليبغضني وأبغضهُ أيضًا ... يراني دونه وأراهُ دوني
فلو أنّا على حجرٍ ذُبحنا ... جرى الدَّميَانِ بالخبرِ اليقينِ

- روى الكلبيُّ عن ابنة الخسّ ثلاث لغات، أنه قيل لها: ما مئةٌ من العنز؟ قالت: قِنى. قيل لها: فما مئةٌ من الغنم؟ قالت: غِنى. قيل لها: فما مئةٌ من الإبل؟ قالت: مُنى. قيل لها: فما مئةٌ من الخيل؟ قالت: لا تُرى.
- اختلف أهل اللغة لكم ليلة يقالُ له (هلال)، فقال بعضهم: هو لليلتين من الشهر هلال، ثم هو قُمير.

وقال آخرون: يُسمَّى هلالًا ثلاثَ ليال.

وقال غيرهم: يُسمَّى هلالًا حتى يحجَّر، وتحجيره أن يستدير بخطة رقيقة.

وقال قوم: يسمّى هلالًا إلى أن يبهر ضوؤه سوادَ الليل، فإذا بهر ضوؤه قيل له قمر، وهذا يكون في الليلة السابعة.

والجيّدُ من الأقوال: أنه هلالٌ لليلتين، فإنه في الثالثة يتبيَّن ضوؤه.

- أنشد أبو علي الفارسي لمعن بن زائدة:

يقولون معنٌ لا زكاةَ لمالِهِ وكيف يزكّي المالَ مَنْ هو باذلُهْ

إذا حال حولٌ لم يكنْ في بيوتنا من المالِ إلا ذكرهُ وفضائلُه

- قال الأعشى:

وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

والشلشل: الخفيف في الحاجة، الحسنُ الصحبة. ورجلٌ شُلل مثله، وقومٌ شللون، وهو يشولُ لفلانٍ في حوائجه: أي يخفّ. ورجلٌ شَلَل: طيّبُ النفس.

- الرجلُ حليلُ المرأة، وهي حليلته، لأن كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ مع صاحبه في المنزل. ويُقال: لأن كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ إزاءَ صاحبه.

- قال رجلٌ من العربِ يخاطبُ عبدًا له اسمهُ واقد:

الليلُ يا واقدُ ليلٌ قرُّ

والريحُ يا واقدُ ريحٌ صرُّ

فأجِّجِ النارَ لمن يمرُّ

إنْ جلبَتْ ضيفًا فأنتَ حرُّ

- قيل لبعضهم: ما أَذهَبَ أسنانَك؟

قال: أكلُ الحارّ، وشربُ القارّ.

- قال الشمّاخ في سفرٍ رجزًا، وقال رجلٌ من بني أسدٍ رجزًا، فأقبل الناسُ على الأسدي، فساء ذلك الشمّاخ، واحتزبَ الناسُ في تفضيلهما، وشريَ الشرُّ بينهم، وخشي الأسديُّ على نفسه، فلمّا رأى الأسديُّ ذلك وهو نازلٌ آخر القوم، صاح: أيْ قوم، إني قد لُدغت. فأصدق القومُ به، وجعلوا يُوجِرونه السمنَ ويسقونه اللبن، حتى أصبحوا ولهوا عن الذي كانوا فيه، فلمّا أصبحوا لم يروا بالأسديِّ بأسًا!
- أنشد ابن الأعرابي للعرزمي الكوفي:

ذوي رحمي كفِّي التي لستُ واجدًا بها بدلًا كفًّا إذا كنتُ أقطعا
وأصحابيَ ..... كالشعرِ الذي إذا جُزَّ في الأيام عادَ فأسرعا

- قال ابن السكيت: يقال: اختلط الخاثر بالزُّبّاد، يعنون الزُّبْد، مثلًا لاختلاط الأمر.
- وأنشد ابن الأعرابي للسمهري، وقد حبسه عاملُ الحجاج:

ألا أيها البيتُ الذي أنا هاجرهْ فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائرهْ
ألا طرقتْ ليلى ورجلي رهينةٌ بأدهمَ محماةٌ عليَّ مسامرُهْ
فإنْ أنجُ يا ليلى فربَّ فتىً نجا وإن تكنِ الأخرى فبَيْنٌ أحاذرهْ

- حُبس أبو الطيلسان في دارةِ الحبس بالمدينة، وحُبس معه حماره، فعطش، وجعل ينهق، فقال أبو الطيلسان:

ألا يا أهلَ حِجْرٍ خبِّروني بأيِّ جريرةٍ حُبِسَ الحمارُ

- كان يزيد بن المهلب يقول: الحياة أحبُّ الأماني إليَّ، والثناءُ الحسنُ أحبُّ إليَّ من الحياة، ولو أني أُعطيتُ ما لم يُعْطَهُ أحدٌ لأحببتُ أن تكونَ لي أذنٌ سميعةٌ فأسمعَ ما يُقالُ فيَّ إذا متُّ كريمًا.
- قدم أعرابيٌّ من وُلدِ قتيبة بن معن متوجهًا إلى خراسان، وصحبه ابنُ عمٍّ لهم، فلمّا صار في بعضِ الطريق مرض فأشفى على الموت، فقال لابن عمِّه: ما أجدُ أحدًا أوصي إليه أحقَّ منك، فأوصيك بتقوى الله تبارك وتعالى، وتركتي حتى تؤدِّيها إلى أهلي، وأن تُنقي غسلي، وتُعمق حفرتي، وتكفنني في أجود ثيابي، وتوسِّدني يميني.

فقال له صاحبه: أما إنقاءُ غسلك فما معنا من الماء ما نبلُّ به شفاهنا، وأما أجودُ ثيابك فالحيُّ أحقُّ بذلك، وأما إعماقُ حفرتك فإني لم أرحل إلى خراسان لأصيرَ حفّارًا لك. أوسِّدُكَ يمينًا، وأمامي وادٍ أطرحك فيه، فإن شاء وسدك يمينًا، وإن شاء وسدك شمالًا!

- قال المؤلف: أنشدنا الفقيه أبو القاسم الداركي الأصبهاني ببغداد للشافعي رحمه الله:

عليَّ ثيابٌ لو يُباعُ جميعُها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ أكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع ببعضها نفوسُ الورى كانت أعزَّ وأكبرا

ثم قال لي: أيمكن أن تجمعَ البيتين في بيت؟ قلت: نعم. قال: كيف؟ فقلت:

عليَّ ثيابٌ فوق قيمتها الفلسُ وفيهنَّ نفسٌ دون قيمتها الإنسُ

- قال العتبي: وقف أعرابيٌّ بإزاء قبر النبيِّ ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي من نبيّ، خُتمتْ بك الدنيا، وفُتحتْ بك الآخرة.
- قال أبو عُيينة: دخل صديقٌ لأنس بن أبي شيخ عليه، ورأسه على مرقنةِ الحجّام يأخذُ من شعره، فقال له: ما يحملك على هذا؛ قال: الكسل.

قال: فقلت له: إن لقمان قال لابنه: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلتَ لم تؤدِّ فرضًا، وإن ضجرت لم تصبرْ على حق.

فقال: ذلك والله أنه لم يعرف لذة الفشولة[1] والكسل.

- قال العتبي: كتبت أم محمد بن مروان إلى عامل المدينة: أن اطلب لي غلامًا ورعًا، تقيًّا، عالمًا، أديبًا، فقيهًا، كاتبًا، أمينًا، حاسبًا.

فكتب إليها: قد طلبتُ هذه الصفة فلم أجدْ إلا عليَّ بن الحسين، أو عبدالله بن عمر، وأهلهما يأبون بيعهما!

- قال المهاجر بن عبدالله: الكِبْرُ فضلُ حُمقٍ لم يجدْ صاحبهُ له موضعًا فصيَّره كِبْرًا.
- أنشد جحظة لنفسه:

---

(١) من الفشل، وهو التراخي والجبن.

جاء الشتاءُ وما عندي له وَرِقٌ مما جمعتُ وما عندي له خلعُ
كانت فبدَّدها جودٌ ولعتُ به وللمساكينِ أيضًا بالندى ولعُ

- لأبي عقبة المازني:

إذا كنتَ بين الحِلْمِ والجهلِ نازلًا وخُيِّرتَ أنَّى شئتَ فالحِلم أنبلُ
ولكن إذا أنصفتَ مَنْ ليس منصفًا ولم ترَ منه النَّصفَ فالجهلُ أفضلُ

- ولأبي هفّان:

إذا ما كنتَ متخذًا خليلًا ولم يكُ ذا موافقةٍ فبِعْهُ
فليس أخوك منكَ ولستَ منه إذا ما لم يُطِعْكَ ولم تُطِعْهُ

- حكى الأصمعيُّ عن بعض مُلّاحِ المدينة يصف تمرًا، قال: تَدَعُ التمرة في فيك، فتجدُ حلاوتها في كعبك!

- لابن هرمة يفخر:

وإذا تنوَّر طارقٌ مُستنبحٌ نبحتْ فدلَّتْهُ عليَّ كلابي
حتى إذا عاينَّهُ ورأينَهُ فدَّينَهُ بشراشرِ الأذنابِ
ويَكَدْنَ مما قد عرفْنَ يَقدْنَهُ ويَكدْنَ أنْ يَنْطِقْنَ بالترحابِ!

- قال مويس:

أنزلتُ بالحُرِّ إبراهيمَ مسألةً أنزلتُها قبل إبراهيمَ باللهِ
فإن قضى حاجتي فالله يسَّرها هو المقدِّرها والآمرُ الناهي
إذا أبى الله شيئًا ضاق مذهبُه على العريضِ الكبيرِ القَدْرِ والجاهِ

- يُقال: ثلاثةٌ لا ينتصفون من ثلاثة: حليمٌ من أحمق، وبرٌّ من فاجر، وشريفٌ من دنيّ.

- لمنصور الفقيه:

خيرٌ من البخلِ كلُّ شيءٍ والبخلُ خيرٌ من السؤالِ
يقطعُ يدي دون أن أراها وقد عَلَتْها يدُ النوالِ

وله:

وباخلٌ جئتهُ فقدَّمَ لي كِسرَةَ خبزٍ وعينهُ عَبْرى

فقال ما تشتهي فقلت له: قطعةً خبزٍ وكسرةً أخرى

- للعباس بن الوليد الخياط الشمشاطي:

من شكَّ في قولِ ربّهْ كُلًّا أخذنا بذنبهْ
فكلبهُ منهُ أهدى فلا تَقِسْهُ بكلبهْ

- قال أبو علي الفارسي: تزوَّج سيبويه بالبصرة بجارية عشقته، وهو قد بنى عقد كتابه، وصنَّف أوائل أبوابه، وهي في جُزازات وقطعِ جلود، وخرقٍ وأشقافِ بيض، فلم يكن يُقبلُ على الجارية، ولا يشتغلُ بها، وهي مشغوفةٌ بحبِّه، ولم يكن يشغله غيرُ النظر والسهرِ والكتب. فترصَّدتْ خروجَهُ إلى السوق في بعض حوائجه، وأخذتْ جذوة نارٍ فطرحتها في الكتب حتى أُحرقت! فرجع سيبويه، فنظر إلى كتبه وهي هباء، فغُشي عليه أسفًا، ثم أفاق، فطلَّقها، ثم ابتنى (الكتاب) بعد ذلك ثانية.

قال أبو علي: وذهب منه علمٌ كبير أخذهُ على الخليل فيما احتُرق له، وإنّا للهِ على ذلك.

- عن ابن الأعرابي: أسماء زمزم: زمزم، وبَرَّة، ومضنونة، ومكنونة، ومكتومة، والسُّقيا، والرَّواء، وشُباعة، وسقاية الحاجّ، وحَفِيرةُ عبدالمطلب، ورَكضةُ جبريل، وشفاءُ سُقم، وطعام طُعم. وسُمِّيت شُباعة لأنه ما شربَ منها إنسانٌ إلا شبع!

- أنشد علي بن مهدي لغيره:

اسكتْ ولا تنطقْ فأنتَ خيّابُ
كلُّكَ ذو عيبٍ وأنت عيّابُ
إن صدق القومُ فأنت كذّابُ
أو نطقَ القومُ فأنت هيَّابُ
أو سكتَ القومُ فأنت قبقابُ

أو قدَّموا يومًا فأنت وجَّابُ[1]

- وأنشد بعضهم:

إذا لم يكنْ صدرُ المجالسِ سيِّدٌ فلا خيرَ فيمن صدَّرتْهُ المجالسُ
وكم قائلٍ قد قال ما لكَ راجلًا فقلتُ له من أجلِ أنك فارسُ

(١) من الوَجْب، وهو الجبان والأحمق.

قلائد النحور*

لابن الجوزي

(حرف الباء)

بادِرْ إلى مولاكَ بالإنابَه، باتل[1] طاعَتَهُ بتلاوة كتابه، باين[2] أعداءَهُ بموالاة أحبابه، باشرْ نفسَكَ بمُلازمة بابه، برِّد قلبك بلذيذِ مناجاتِهِ وخِطابِه، بايِنْ شَهواتِ نفسِكَ الأمَّارة، بواعِثُها لم تَزَلْ بالخُبثِ غدَّارة، باعِدْ مطلوباتها فهي أعدى أَعْدائك، بُهتانُها إن أطَعْتَهُ أهلكك وأرداك، بَراءتُكَ من وساوسها تُقرِّبُكَ إلى مولاك.

شِعرًا:

ببابِ الرجا قُمْ واغْتَنِمْ لذَّةَ القُرْب	إلى مالكِ الأملاكِ إنْ كنْتَ ذا لُبِّ
بأوْفى صفاءٍ في وَلاهُ لعلَّهُ	يُسامِحَ في ما قَدْ جَنيتَ من الذَّنبِ
بأَلطافِهِ يَعْفُو ويَصفَحُ منَّةً	ويشفي الذي يَدْعوهُ من شدَّةِ الكَربِ
بِهِ جَبْرُ كَسْرِ المذْنِبينَ إذا أَتَوا	إلى بابِهِ يَرْجوا الخلاصَ من العُتْبِ

---

* قلائد النحور/ لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي؛ حققه محمد بن سليمان مال الله.- الكويت؛ ألمانيا: مؤسسة التواصل بن الشرق والغرب، ١٤٣٢ هـ، ٢٠٠ ص.

وهو من الكتب النادرة للعلامة ابن الجوزي، الذي عُرف بالوعظ أكثر ما عُرف، وهنا تفنَّن فيه وأبدع، فجاء نادرًا في بابه، ربما لم يسبق إليه، فقد جعل كتابه كله منسقًا على حروف المعجم، نثرًا وشعرًا، فالنثر بدأ بكلمات جملهُ كلها بالحرف الذي هو فيه، مع أنه كله مسجوع، من حرف الهمزة إلى الياء، ثم ينظم شعرًا قوافيه كلها في حرفه، فقوافي حرف التاء كلها تاء، والميم كلها ميم، وهكذا. وقصد منه المؤلف الحث على التوبة وطاعة الله تعالى، ولم يزد على قوله في المقدمة: هذا كتاب ألفته في التوبة إلى الملك الغفور.

والمؤلف من أعلام أمة الإسلام، في التاريخ والتفسير والحديث والوعظ وغيره، فهو موسوعي المعرفة، وتصانيفه كثيرة جدًّا، ومولده ووفاته ببغداد، وقد توفاه الله تعالى عام ٥٩٧ هـ، وسبق أن عُرضت كتب أخرى له في هذه السلسلة وعرّف به كذلك.

واخترت من الكتاب ثلاثة نماذج فقط، البالغة عدد حروف المعجم.

(١) باتل: أي انقطع عن الدنيا وأخلص لله في العبادة.

(٢) باين: فارِق.

بإذعانِهِمْ والانكسارِ وذُلِّهِمْ لَدَيْهِ يَذوقوا عندهُ ثَمَرَ الحبِّ
بجُنحِ الدَّياجي يبسُطونَ أكُفَّهُمْ إليهِ ويَدْعوا بانكِسارٍ إلى الرَّبِّ
بحقِّكَ يا مَولى العِبادِ أبحْ لنا شُهودَكَ واكشِفْ دُوننا مانعَ الحُجْبِ
بِعِزّكَ يا ذا العزِّ عَطْفًا بذُلِّنا أَقِلْنا عَذابًا منكَ والسَّخَطَ المخبي
بما نرتجي مِنْ لُطفِ عَفْوِكَ هَبْ لنا رِضاكَ بيَومٍ لا يؤَمَّلُ بالصَّحْبِ
بكَ اللهُ يَنْجو المسْتَجِيْرُ وما لِمَنْ ببابِكَ مطلوبٌ سِوى الفوزِ بالقربِ

(حرف التاء)

تُبْ إلى مولاكَ إنْ طلبتَ رِضاهْ، تقَرَّب إليهِ وَدَعْ ما سِواهْ، تبتَّل لتلاوةِ كتابِهِ المنزَّل، توسَّل إلى كَرَمِهِ بنبيِّهِ المرسَلْ، تابعْ أهلَ السُّنَّةِ بالأكْمَلِ الأَفْضَلْ، تَماديْكَ على المعاصيْ خِذْلانْ، تيْهُكَ في هَواكَ مُوقِعٌ في الحرمانْ، تتابُعُ سَقَطاتِكَ ارتِكاسٌ وخُسرانْ، تَبِعاتُ ذُنوبِكَ قائدةٌ إلى النّيرانْ، تَغافُلُكَ وتَناسِيْكَ سببٌ لِغضبِ الملكِ الدَّيَّانْ.

شعرًا:

تأهَّبْ ليومِ الجَزا والمماتْ فعمَّا قليلٍ يَحُلُّ الفَواتْ
تناسَيْتَ عَرْضَكَ يومَ الحِسابْ إلى كَمْ وكَمْ لَمْ تُفِدْكَ العِظاتْ
تعامَيتَ عَنْ ذنبِكَ المختَشَى عَليكَ به موجباتُ الشتات
تعلَّقْ بجانبِ مَنْ لا يخِيبُ إليهِ المنيبُ الجَزيلِ الهِباتْ
تذلَّلْ لَدَيْهِ بذلِّ السؤالِ وطولِ انكسارِكَ حتى المماتْ
تَعُدْ بَعْدَ طُولِ الجَفا للصَّفا وتَرْقى المعاليْ بتلكَ الصفاتْ
تناقُصُ عُمْرِكَ لما بَدا تزايُدُ أفعالِكَ المنكراتْ
تَمَرَّدْتَ عَن حُسْنِ لِيْنِ القَبولِ لآياتِ موجِدِكَ الموضَحات
ترامَى جوابُكَ لما غَدا تُنادَى بأفعالِكَ المخزيات
ترومُ النَّجاةَ بِلا توبَةٍ وإنْ تُبْتَ يا صاحِ أَين الثبات

(حرف الثاء)

ثبِّتْ أركانَ عِبادَتكَ بدوامِ التذكارْ، ثوِّب[1] إخلاصَ تداعيكَ بحُسنِ الاستغفار، ثمَرُ صالِحِ أعمالكَ يزكُو بصفاءِ الاستشعار، ثُغورُ بشائر صلاحِ عاقبتِكَ تتبَسَّمُ بإصْلاحِ الأسرار، ثَرى وابِل عبراتكَ تزكو به حقائقُ الأثمار، ثُمُودُ[2] أفعالكَ تُغرقهُ سحائبُ الدُّموع، ثَلبُ عِرضِكَ بتماديكَ على المعاصي تُصلِحهُ كثرةُ الخشوع، ثُعْبانُ شيطانِكَ يَمنعُهُ خوفُ مولاكَ من اللسوع، ثَعْلَبُ وَسواسِ نفسِكَ الأمارةِ يقيِّده عن الرَّوَغانِ صِدقُ تَقواكْ، ثَوَرانُ هيَجانِ طبائعها الخبيثةِ يقمَعُهُ استحضارُ عَظَمةِ مولاك.

شعرًا:

ثباتُكَ في نَهجِ السبيلِ على الوَفا ... بهِ نَيْلُ ما تَرجوهُ مِنْ زاكيِ البَثِّ
ثوابُكَ في العُقبى بإخلاصِ نيَّةٍ ... وجِدِّ انحِرافٍ عَنْ مُلاحظةِ النُّكْثِ
ثَوَيْتَ إلى الشيطانِ في غُرفِ الهوى ... ولم تَخْشَ مِن خِزْيِ الفضيحةِ والحِنْثِ
ثمارُ المعاني مَنْ جناها رَقَى بها ... إلى خيرِ ما ينجو بهِ من شقَى الحُنثِ
ثيابُكَ إنْ طالَتْ سِوى حُلَلِ التُّقى ... تعودُ إلى هَتْكِ الفضائِحِ والرَّثِّ
ثَمِلْتَ[3] بخمرِ اللَّهوِ في غُرَرِ الصِّبا ... أما تستحي في الشَّيبِ من صَبْوةِ الحَدْثِ
ثَغَرْتَ حِمى مولاكَ مقتَحِمًا على ... محارِمِهِ كالموجِبِ الحَقَّ بالإرثِ
ثَقُلْتَ من الأوزارِ فانهَضْ لِدَفعها ... بحُسنِ اعترافٍ واطَّرِحْ فاسِدَ النفثِ
ثلاثًا إذا رُمتَ المتابَ تنَدُّمًا ... وجِدًّا، وعَزْمًا للثباتِ بلا نَكْثِ
ثَواؤكَ في ظِلِّ القَبولِ بها وبِانـ ... ـكِسارٍ وعَفوٍ دُونَهُ لَمْ تَجِدْ مُرثي[4]

---

(١) التثويب: الترجيع. يقال: ثابَ فلان إلى الله، وتابَ، أي: عادَ ورجعَ إلى طاعته.

(٢) الثَّمَدُ والثَّمْدُ: الماء القليل الذي لا مادَّ له.

(٣) ثملت: أي سَكِرتَ.

(٤) هكذا، وفي مصدر: ثواؤك في ظل القبول بها وبانكسار تنال الأجر في موقف البعث.

لذَّة السمع في صفة الدمع*

للصفدي

إذا تهيَّأ الرجلُ للبكاءِ قيل: أجهش، أو أشجن.

وأهنف الصبيُّ إهنافًا، مثل الإجهاش.

وفحم الصبي: إذا بكى حتى ينقطع صوته.

فإذا امتلأت عينُ الإنسانِ دموعًا قيل: اغرورقت عيناه.

فإذا كادت تسيل قيل: ترقرقت.

فإذا سالَ قيل: دمعت، وهمعت.

فإذا زاد سيلانها قيل: ذرفت وهمعت.

- خرج الماء من السحاب: سحَّ.

ومن الينبوع: نبع.

---

* لذة السمع في صفة الدمع/ خليل بن أيبك الصفدي؛ تحقيق محمد لاشين.- القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٣٤ هـ، ٦٤٠ ص.

لما رأى المؤلف الشعراء قد أطنبوا في ذكر الدمع، وبالغوا في وصفه، أحبَّ أن يجمع ذلك في كتاب، قال: "ولم أودع هذا التأليفَ من الأبياتِ إلا ما كان لطيف المعنى، محكم المبنى، قد انسجم لفظه، وعذب تركيبه، ولذَّ في السمع وقعه، وارتشفت النفسُ مدامه، وفضَّ الاختبار ختامه... ولم أكن في ذلك حاطب ليل، بل قاطف نهار؛ لأن الأبيات في ذلك كثيرة إلى الغاية، في الدواوين والمجاميع وأفواه الرواة، لا يسعها فضاء الإحصاء، ولا ينتهي إليها نهاية الإعداد.

ورتَّبه على مقدمتين و(٣٧) بابًا، هي: أوان البكاء، وجود الراحة فيه، حيرته في الجفون خوف الرقباء، أنه شاهد الحبّ، فاضح الأسرار، غسل العين، نارٌ أو شرار، حجب الناظر، في أنه دم، عقيق أو مرجان، الاعتذار لبياضه، أنه النجوم، لؤلؤ، زهر، ادِّعاء شربه، ملحٌ أُجاج، جريته في الخدود وترقرقه، مباكاة الغمام والحمام، سقيا الديار والمنازل، كثرته وجود العين به، كالمطر، كالنهر، كالبحر، قرَّح الجفون وخدَّر الخدود، أذهب العين، ذوب النفس، في طلبه من الرفاق وعاريته للعشاق، عدمه وجفافه، الاعتذار عن البكاء الافتخار به، الضحك بدلًا عن البكاء، البكاء بدلًا عن الضحك، في أنه تبسُّم، بكاء المحبوب، بكاء العدو وغيره رحمة، مفردات تتعلق به، استعارة البكاء لغير الإنسان.

وفيه من الغثِّ والسيء والمتشابه الكثير، ولم أختر منه سوى القليل، مما يفهمه القارئ ويستفيد، من غير تكرار.

ومن الحجر: انبجس.

ومن النهر: فاض.

ومن السقف: وكف.

ومن القِربة: سرَب.

ومن الإناء: رشَح.

ومن العين: انسكب.

ومن المذاكير: نطَف.

ومن الجرح: ثغَّ.

وقد يُتجاوزَ في كلِّ ذلك ويُستعملُ في الدمع، فيقال: سحَّ، وانفسح، وهطل، وهملَ، وهمى، وهمع، ووكف، وذرف، وقطر، وانهمر، وجرى، وسال، وانبجس، وصاب، وهتن، وأسبل، واستهلَّ، وفاض، وانسرب، ورشح، وانسكب، وتحلَّب، وانسجم، وتدفَّق، وأريق.

- المقلة: شحمة العين، وهي التي تجمع السواد والبياض.

والحدقة: السواد الأعظم.

والناظر: السواد الأصغر.

والإنسان: يكون في الناظر، لأنه كالمرآة، إذا استقبلتها رأيت شخصك، والعامة تسميه البؤبؤ.

وذبابة العين: مؤخرها.

واللحاظ: طرفُ العين مما يلي الصدغ.

والموق: طرف العين مما يلي الأنف.

والحملاق: باطن جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

والهُدب: هو الشعر، وهو الشَّفْر عند العامة، والصحيح أنه منبت الشعر.

والحِجاج: العظم المشرف على العين.

- الدَّعَج: أن تكون العين شديدة السواد، مع سعة المقلة.

البَرَج: شدَّة سوادها، وشدَّة بياضها.

النَّجَل: شدَّة سعتها.

الكَحَل: شدَّة سواد جفونها من غير كحل.

الحَوَر: شدَّة بياض العين مع شدَّة سوادها.

الوَطَف: طول أشفارها وتمامها.

الشَّهله: حمرة في سوادها.

الشُّكلة: حمرة في بياضها.

تلويز العين: إذا كانت في شكل اللوزة.

- كانت تلك صفات الحسن عند أرباب المحبة والمتغزلين، أما الحكماءُ، فقالوا في العين التي تُحمد فراستها:

أن تكون متوسطة في الحجم، ساكنةً في مركبها، وترفة في نظرها، لم تتفرَّق أشفارها، ولم تضق، ولم يضعف إنسانها، ولم يَضِق، وتكونُ صافية من الكدر، نقية من النقط، لبِّنة، حسنة في بريقها، كامنة العروق، معتدلة في الطرف بالجفن، نجلاء، يخالطها السرور والمهابة، بياضها نقيّ، وسوادُها كذلك، لا عظيمة، ولا صغيرة، ولا غائرة، ولا جاحظة، ولا شاخصة كالجامدة، ولا سريعة التقلُّب كحركة الزئبق، ولا نائتة الحدقة، ولا صغيرتها، ولا كبيرتها، ولا واسعتها، ولا مختلفة الوضع في البياض والسواد، وتكون رطبة في المنظر من غير ضعف ولا علَّة، شهلاء خفيفة الشهولة[1]، أو كحلاء، أو شعلاء خفيفة الشعولة[2]، شحيمة الجفن الأعلى والأسفل، مكوَّرة الوضع.

وقلَّ أن تجتمع هذه الصفات في العين.

---

(١) الشهل: أقلُّ الزرق في الحدقة وأحسن منه، وأن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد.

(٢) أشعلت العين: كثر دمعها.

- من معايب العين: الحَوص، وهو ضيق العين.

والحَوص، غؤورها مع الضيق.

الشَّتَر: انقلاب الجفن.

العَمَش: أن لا تزال العين تسيل وترمص.

الجَهر: أن لا تبصر العين نهارًا.

العَشا: أن تبصر ليلًا.

الخزَر: أن يبصر بمؤخَّرها.

الغَضَن: أن تكسر في النظر.

القَبَل: أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه. وهو أهونُ من الحوَل.

الحَول: أن تراه كأنه ينظرُ إليك وهو ينظرُ إلى آخر.

الشَّوَش: أن ينظر بإحدى عينيه، ويميل وجهه في شقِّ العينِ التي ينظرُ بها.

الحَفَش: صغرُ العين مع ضعف البصر.

الجحوظ: خروج المقلة وظهورها من الحجاج.

البَحَق: أن يذهب البصرُ والعينُ منفتحة.

الكَمَه: أن يولدَ الإنسانُ أعمى.

السمادير: ضعف البصر، ويقال: هو الشيء يتراءى للإنسان مع ضعف بصره عند السكر من الشراب وغيره.

القَدَع: ضعف البصر، من إدمانه النظر إلى الشيء.

الإسجاد: إدامة النظر مع السكون.

- قال الحماسيّ:

وما في الأرض أشقى من محبٍّ ولو وجدَ الهوى حلوَ المذاقِ
تراه باكيًا في كلِّ حالٍ مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إنْ نأوا شوقًا إليهم ويبكي إن دَنَوا خوفَ الفراقِ

- ادَّعى شاعرٌ أن محبوبته أنكرت دمعه، وطالبته بالحجة والعذر عن بياضه، فقال:

وقائلةٍ ما بالُ دمعِكَ أبيضا؟ فقلتُ لها يا عَلْوُ هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البُكا طالَ عمرهُ فشابتْ دموعي مثلما شابَ مفرقي؟

- وقال آخر في الدمع الأخضر:

وقائلةٍ ما بالُ دمعِكَ أخضرا؟ فقلتُ لها: هل تفهمينَ إشارتي؟
ألم تعلمي أن الدموعَ تجفَّفَتْ فأجريتُها يا محنتي من مرارتي؟!

- وروي عن سالم – راوي عاصم المقرئ – أنه قال: لما كنتُ شابًّا أصابتني مصيبة تجلَّدتُ لها، ودفعتُ البكاءَ بالصبر، فكان ذلك يؤذيني ويؤلمني، حتى رأيتُ أعرابيًّا بالكُناسةِ[1] وهو واقفٌ على بعير ينشد، ويقول:

خليليَّ عُوجا من صُدورِ الرواحلِ لمهجور حُزْوَى فابكيا في المنازِلِ
لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعْقِبُ راحةً من الوَجْدِ أو يَشْفي نجيَّ البلابلِ

فسألتُ عنه، فقيل: هو ذو الرمَّة. فأصابني بعد ذلك مصائب، فكنتُ أبكي، فأجدُ لذلك راحة، فقلت: قاتل الله الأعرابيَّ فما كان أبصره!

- لأبي الحسين الجزار:

وقال قلبي لطَرْفي عند فُرقتهم ماذا بدمعِكَ بَعْدَ اليومِ تنتظرُ؟
هناك لبَّتْ جفوني وهي مسرعةٌ إن الجفونَ بأمرِ القلبِ تأتمرُ

- وقال الشريف البياضي:

أَلِفْتُ الضَّنَى من بَعدكم فلو انَّهُ يزولُ إذا عُدتم حننتُ إليهِ
وصارَ البُكا لي مؤنسًا فلو انَّهُ تغيَّبَ عن عيني بكيتُ عليه

- ولأبي محمد بن شرف القيرواني:

إذا لم يكنْ إلا إلى الدمعِ راحةٌ فلا زالَ دمعُ العينِ منهملًا سَكْبا

---

(١) محلة بالكوفة.

- لآخر:

مَن غضَّ داوى بشُربِ الماءِ غُصَّتهُ فكيف يصنعُ مَن قد غصَّ بالماءِ؟

- وقال الصفدي (المؤلف):

سألتهمُ وقد عزموا التنائي قفوا نَفَسًا عليَّ فما أجابوا
ولم أرَهم وقد زمُّوا المطايا لأن الدمعَ في عيني حجابُ

- وقال آخر:

أبصروا دمعي فخافوا قلتُ لا تخشوا بكائي
ما عليكم من دموعي غيرُ أمطارِ السماءِ

- وقال شيخ الشيوخ:

غرامي فيك لا يُحصى بميزانٍ ولا كيلِ
وأمّا دمعُ أجفاني فلا تسألْ عن السيل!

- ولابن نفاذة:

خَفيتُ نحولًا أنْ يراني عُذَّلي فلي ولسرِّي عنهمُ في الهوى كَتْمُ
دموعٌ ولا عينٌ، سقامٌ ولا حَشَا غرامٌ ولا قلبٌ، نُحولٌ ولا جسمُ

- وقال العباس بن الأحنف:

نزفَ البكاءُ دموعَ عينِكَ فاستعرْ عينًا يعينُكَ دمعُها المدرارُ
مَن ذا يُعيرك عينَهُ تبكي بها أرأيتَ عينًا للبكاءِ تُعارُ؟

- وقال ابن المعلِّم:

ما واجدُ الصبرِ في المعنى كفاقدهِ وجامدُ الدمعِ في المعنى كجاريهِ

- وقال الأسعد بن ممّاتي:

ما صرتُ أجسُرُ أن أبكي لفرقتهم لأنهم زعموا أن البُكا فرحُ

- وقال ابن ظافر:

وإذا بكتْ عيني تقولُ تبسَّمتْ إن الدموعَ لها ثغورٌ عندنا

- وللشريف البياضي:

لقد مدَّ الفراقُ إلى جفوني أكفَّ الدمعِ فاستلبتْ رُقادي
كأنَّ العينَ تشربُ من دموعي فتُنبِتُ أرضُها شوكَ القتادِ

- وقال عماد الدين السمرباوي:

قال لي صاحبي دموعُكَ تجري من عذابِ الهوى وفيكَ سكونُ
قلتُ قلبي يذوبُ هو جليدٌ ولِذَوبِ الجليدِ تجري العيونُ

- وقال أبو غانم معروف القصري:

لا غروَ أن تأسى على مُلكٍ مضى أَذْرَتْ مدامعُها عليه عيونُ
ولئنْ بكيتَ وأنتَ طَوْدٌ للنُّهى فلقد تسيلُ من الجبالِ عيونُ

- ولابن الذروي:

وإذا لم يكنْ من الهجر بدٌّ فعسى أن تزورنا في الخيالِ

- ولابن الخياط الدمشقي:

إذا ما خانني دمعٌ بليدٌ بكيتُ بأدمعِ الشِّعرِ الفِصاحِ

- وللحظيري الوراق:

أقولُ والليلُ في امتدادٍ وأدمعُ الغيثِ في انسفاحِ
أظنُّ ليلي بغيرِ شكٍّ قد باتَ يبكي على الصباحِ

- وقال آخر في الناعورة:

أبدتْ لنا بالعُذرِ ناعورةٌ أدمُعها في غايةِ السَّكْبِ
تقولُ: لما ضاعَ قلبي وقد ضَعُفتُ من نوحي ومن ندبي
جعلتُ جسمي كلَّهُ أعينًا تدورُ في الماءِ على قلبي

مجالس السلطان الغوري*

- قال قيصر الروم: كلُّ قبيح في الدنيا الجهلُ به أقبحُ منه.
- ركب خواجه محمود الكاوان في الهند مع الوزراء، فلما وصلوا إلى زريبة البقر وهي في الصياح، قالوا له: يا خواجه ما يقول البقر؟

  فقال: هي تقول لي: اخرج من بين الحمير وتعال عندنا المناسب لهذا المجلس.
- سؤال: أيُّ شيءٍ فعلهُ حرام، وتركه حرام؟

  أجاب السلطان: صلاة السكران.
- لغز:

ألا فأخبروني أيَّ شيءٍ رأيتمو ... من الطير في أرضِ الأعاجمِ والعربْ
فيؤكلُ مطبوخًا لذيذًا وتارةً ... فيؤكل مشويًّا إذا اشتدَّ في اللهبْ
وليس له أيدٍ وليس له فم ... وليس له رِجلٌ وليس له ذنَبُ
وليس له مخٌّ وليس له دم ... وليس له عظمٌ وليس له زغبْ

قال السلطان: هو البيض.

- لغز آخر:

وميت بقبر طعمهُ عند رأسهِ ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلَّما

---

* مجالس السلطان الغوري/ [باعتناء] عبدالوهاب عزام.- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣١ هـ، ١٧٩ ص.
قانصوه الغوري الملقب بالملك الأشرف شركسي، خدم السلاطين وترقى حتى بويع له بالسلطنة سنة ٩٠٥ هـ، فكان سلطان مصر. وكان أديبًا عالمًا شجاعًا، صاحب مجالس علم ودين وتاريخ، وله ديوان شعر به موشحات، حيث كان محبًّا للموسيقى أيضًا. وقد هزمه السلطان سليم العثماني فمات قهرًا على فرسه سنة ٩٢٢ هـ.
وهذا الكتاب هو نفسه "نفائس المجالس السلطانية في حقائق الأسرار القرآنية"، الذي ألفه أو جمعه حسين بن محمد الحسيني، الذي كان عارفًا بالتركية، وساح في بلاد إيران، والعجمة ظاهرة في كتابه هذا، وفيه الكثير من العامية، وجعله في عشر (روضات) في كل واحدة منها مجالس السلطان في شهر، وكانت المجالس تجتمع في كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثًا، وفيها يصف مجالسه وتاريخه ومدته ومن يحضرها، والمسائل التي طُرحت فيها، في التاريخ والأدب ومسائل من علوم القرآن الكريم. وهنا مختارات منها.

يقومُ ويمشي ناطقًا بفصاحةٍ ويأوي إلى القلبِ الذي كان قيما

قال: هو القلم.

- قيل لإسكندر: إن في عسكر داراب الملك ثلاثمئة ألف رجل.

فقال: لا تخوّفوا القصّاب بكثرة الغنم!

- وقال: ينبغي للعاقل أن يكون مع سلطانه كراكب سفينة البحر، إن سلم جسمهُ من الغرق لم يسلم قلبه من الخوف!

- لغز:

أتى بلغزٍ ثلاثيٍّ يعجّزني وظنَّ ذلك بحرًا لستُ أملكهُ

وقال فسَّره شمس الدين قلت له: مولاي لغزك ليس الشمس تدركهُ

قال: هو القمر[1].

- لغز آخر:

ما اسمُ شيءٍ حسنٌ شكلهُ تلقاهُ عند الناسِ مخزونا

تراهُ معدودًا فإن زدتهُ واوًا ونونًا صار (موزونا)

قال: هو الموز.

- سأل السلطان: ما الفرق بين الضوء والنور؟

فأجاب بنفسه: الضوءُ هو النورُ الغالبُ القاهر المحرق، بخلاف النور، فإنه يطلق على غير المحسوس أيضًا، كنور القلب، ونور الإيمان، دون الضياء.

- لغز:

وذات ذؤابة تنجرُّ طولًا تراها في المجيء والذهابِ

وما لبستْ مدى الأيام ثوبًا وتكسو الناسَ أنواعَ الثيابِ

قال: هو الإبرة.

- قال السلطان: بأيّ صورةٍ تصحُّ الصلاةُ بثوبٍ نجس وبدونه لا تصح؟

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ} [سورة يس: ٤٠].

قال الشيخ عباس: المصلي إذا كان عريانًا وما معه إلا ثوبٌ فيه نجاسة.

- قال كسرى: إذا أراد الملكُ أن يستخدمَ عاملًا في شيء، فالواجبُ أن يحقِّق أخلاقه وصبره، وتدبيره لنفسه ومنزله، فإن كان حسن الخُلق، شديد السياسة، صابرًا على المشاقّ، فليستخدمه، وإن كان ضدَّ ذلك فليحذر منه.
- قيل: رجلٌ اشترى الأحجار لأجل البناء، فجاء اللصُّ وأخذها، فالتقي بصاحب الحجر، فقال اللص: والله ما عرفتُ أنها لك!

فقال صاحب الحجر: هبْ أنك ما علمتَ أنها لي، أما علمتَ أنها ليست لك؟

- قال الخليفة لابنه: إذا أردتَ المهابةَ فلا تكذب؛ لأن الكاذب لا يُهابُ ولو كان معه مئة ألف سيف!
- قال عبدالملك بن مروان: ثلاثة أشياء تدلُّ على مقدار أربابها: الكتابة تدلُّ على مقدار كاتبها، والهدية تدلُّ على عقل مُهديها، والرسولُ يدلُّ على مقدار عقل مرسله.
- قال القاضي محمود: صاحب الكشاف [الزمخشري] كان معتزليَّ المذهب في الأول، ثم تاب في الآخر من الاعتزال.

قلت [لعل المقصود صاحب الكتاب] توبة صاحب الكشاف لا تُخرج مذهب الاعتزال من الكشاف، فكلامنا في الكشاف لا في صاحب الكشاف.

المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة*

لابن أبي الإصبع العدواني

قال الزاهي يصف البرق والليل، ويشبّه ذلك:

الريحُ تعصفُ والأغصانُ تعتنقُ ... المزنُ باكيةٌ والزَّهرُ مغتبقُ

كأنما الليلُ جَفنٌ والبروقُ له ... عينٌ من الشمسِ تبدو ثم تنطبقُ

- قال الجمال محمود بن عبدالمطلب يصف الشيب ويعتذر عن الخضاب:

ولم أخضُبِ الشيبَ يا لائمي ... للهوٍ ولا خفتُ من قُبحهِ

ولكن حناني ليلُ الشبابِ ... بوصلِ الأحبةِ في جُنحهِ

فلما تولّى خشيتُ الفِرا ... قَ فأسبلتُ سترًا على صُبحهِ

- وقال الأمير سيف الدين علي بن قَزَل يصف الروض:

تبسَّمَ ثغرُ الأقحوانِ بروضةٍ ... بها الغيمُ يبكي والنسيمُ يولولُ

وقد نسجتْ أيدي الربيعِ مطارقًا ... من الزهرِ في ليلٍ به الزهرُ يَغْزِلُ

- لمعن بن زائدة الشيباني:

---

* المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة/ عبدالعظيم بن عبدالواحد بن أبي الإصبع العدواني؛ تحقيق أحمد بن عبدالعزيز الربيعي.- الكويت: مكتبة ومركز فهد بن محمد الدبوس للتراث الأدبي؛ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٣٤ هـ، ٥٩٢ ص.

مختارات شعرية لأديب وشاعر متذوق، جمعها من مجموعة كتب، وجنَّبه "خرافات الأبيات، ومطوَّلات الأسماء، لئلا تسأمه عند المطالعة النفوس"، وجعله في (١٨) بابًا، هي: الغزل، الفخر، الوصف، المديح، الهجاء، التقريع والعتاب، الاعتذارات، الأدب ومدح العقل، الزهد والتوكل، الإخوانيات، المراثي والتعزية، الوعيد والتهديد، الطيرة والتحذير، التحريض والإغراء، الفأل والبشارة، التهاني ببلوغ الأماني، المليح والمحبوب، السؤال والجواب.

وذكر أنه جعل هذه الأبواب متضادة كتضاد الأخلاق والشيم، وتباين الأقدار والهمم.

وفيه الكثير من السيء الفاحش، مثل ذكر الخمر والمجون.

ومؤلفه أديب من مصر، خرج إلى بلاد الشام ومدح حكامها، وله مساجلات مع كبار شعراء عصره، وكان متمكنًا من علوم العربية، والنقد والبلاغة والنثر، مطلعًا على التاريخ، مشهورًا، صاحب مؤلفات، منها: بديع القرآن، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح. وأكثر كتبه مفقودة.

توفي سنة ٦٥٤ هـ.

إني حُسِدتُ فزاد الله في حسدي ... لا عاشَ مَن عاشَ يومًا غيرَ محسودِ
ما يُحْسَدُ المرءُ إلا من فضائلهِ ... بالحلمِ والعلمِ والمعروفِ والجودِ

- ولأبي علي الحسن بن ماكولا:

وإن لقائي للشجاعِ لهيّنٌ ... ولكنَّ حِمْلَ الضيمِ منه شديدُ
إذا كان قلبُ المرءِ ينبو عن الوغى ... فإن فؤادي جَلْمَدٌ وحديدُ

- وقال بعض الإسلاميين:

إذا كان بابُ الذلِّ من جانبِ الغنى ... سموتُ إلى العلياءِ من جانبِ الفقرِ
صبرتُ وكان الصبرُ مني سجيَّةً ... وحسبُكَ أن الله أثنى على الصبرِ

- ولجاهلي:

إذا لم يكنْ إلا الأسنَّةُ مركبًا ... فلا رأي للمضطرِّ إلا ركوبُها

- وقال آخر:

أعمى إذا ما جارتي خرجتْ ... حتى يواري جارتي الخِدْرُ
ويُصمُّ عما كان بينهما ... سمعي وما بي عنهما وَقْرُ
ما ضرَّ جارًا لي أجاورهُ ... أنْ لا يكونَ لبابهِ سترُ

- ولبعض العرب:

تخالهم للحِلْمِ صُمًّا عن الخنا ... وخُرسًا عن الفحشاءِ عند التهاترِ
ومرضَى إذا لاقَوا حياءً وعفَّةً ... وعند الحروب كالليوثِ الخوادرِ

- وللشاعر عبدالله بن حمد الخياط في المهدي:

لمستُ بكفي كفَّهُ أبتغي الغنى ... ولم أدرِ أن الجودَ من كفِّهِ يُعدي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فأفنيتُ ما عندي

- وقال القاضي الأرَّجاني:

تعوَّدَ أن يجودَهمُ ابتداءً ... فلو سألوهُ ما عرفَ السؤالا
كفى القرطاسَ والأقلامَ فخرًا ... أن اقتسما يمينكَ والشمالا

- لأبي فراس يعاتبُ سيف الدولة:

إني عليك أبا حصينٍ عاتبٌ والحرُّ يحتملُ الصديق ويصبرُ
وإذا وجدتُ على الصديق شكوتهُ سرًّا إليه وفي المحافلِ أشكرُ

- ولآخر:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً وأبى فلا تَعْقِدْ عليه بحاجبِ
فلربما بخلَ الجوادُ وما بهِ بخلٌ ولكنْ سوءُ حظِّ الطالبِ

- غيره:

تركتُ صحبةَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ولم أجرِّبهمُ في السرِّ والعلنِ
مِنْ خوفِ أن يفعلوا بي مثلَ فعلهمُ والحزمُ أن تتوقَّى الشرَّ بالظنِ
ومن يذقْ لدغة الأفعى وإن سلمتْ منها حشاشتهُ يَفْرَقْ من الرَّسَنِ

- قال أبو فراس بن حمدان:

إذا كنتَ في دارٍ يُهينُك أهلُها ولم تكُ مكبولًا بها فتغرَّبِ
فإن رسول الله لم يستقمْ له بمكةَ أمرٌ واستقامَ بيثربِ

- ولأبي تمام:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبَّةً إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهم بسرمدِ

- وله أيضًا:

ولم يجتمعْ شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ في كفِّ امرئٍ والدراهمُ

- وقال بعضهم:

يعدُّ رفيعَ القومِ مَن كان عاقلًا وإنْ لم يكنْ في قومهِ بحسيبِ
وإن حلَّ أرضًا عاش فيها بعقلهِ وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ

- وللقاضي الأرَّجاني:

شاورْ سواكَ إذا نابتكَ نائبةٌ يومًا وإن كنتَ من أهلِ المشوراتِ
فالعينُ تلقى كفاحًا ما نأى ودنا ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ

- ولأبي تمام:

إذا جاريتَ في خُلقٍ دنيئًا فأنتَ ومَن تُجاريهِ سواءُ
رأيتُ الحرَّ يجتنبُ المخازي ويحميهِ عن الغدرِ الوفاءُ
وما من شدَّةٍ إلا سيأتي لها من بعد شدَّتها رخاءُ
لقد جرَّبتُ هذا الدهرَ حتى أفادتني التجاربُ والعناءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العَودُ ما بقيَ اللِّحاءُ
فلا والله ما في العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ
إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحي فاصنعْ ما تشاءُ

- وقال آخر:

إذا شئتَ أن تلقى عدوَّكَ راغمًا وتُهلكَهُ حُزنًا وتُحرقَهُ غمَّا
فسامِ العُلا وازددْ من العلمِ إنه من ازدادَ علمًا زادَ حاسدهُ همّا

- لأبي العتاهية:

نعى نفسي إليَّ من الليالي تقلُّبهنَّ حالًا بعد حالِ
فما لي لستُ مشغولًا بنفسي وما لي لا أخافُ الموتَ ما لي
لقد أيقنتُ أني غير باقٍ ولكنّي أراني لا أبالي
تعالى الله يا سَلْمَ بن عمرٍو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ
هبِ الدنيا تُساقُ إليك عفوًا أليسَ مصيرُ ذاك إلى زوالِ؟

- لأبي فراس:

ما كنتُ مذ كنتُ إلا طوعَ خُلّاني ليستْ مؤاخذةُ الإخوانِ من شاني
إذا خليليَ لم يُكثرْ إساءتُه فأين موقعُ إحساني وغفراني؟
يجني عليَّ وأحنو دائمًا أبدًا لا شيءَ أحسنَ من حانٍ على حانِ
ويُتبعُ الذنبَ ذنبًا حين يعرفني عمدًا وأُتبعُ إحسانًا بإحسانِ

- ولأمين الدولة ابن التلميذ:

أشكو إلى الله صاحبًا شرسًا تُسعفهُ النفسُ وهو يُسعفها
كأننا الشمسُ والهلالُ معًا تكسبهُ النورَ وهو يَكْسِفُها

- ولديك الجنّ الحمصي:

أساكنَ حفرةٍ وقرارِ لحدٍ مفارقَ خُلّةٍ من بعد عهدِ
أجبني إنْ قدرتَ على جوابي بحقِّ الودِّ كيف ظللتَ بعدي
وأين حللتَ بعد حلولِ قلبي وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عانيتَ وجدي إذا استعبرتُ في الظلماءِ وحدي
وجدَّ تنفُّسي وعلا زفيري وفاضتْ عَبْرتي في صحنِ خدِّي
إذنْ لعلمتَ أني عن قريبٍ ستُحْفَرُ حفرتي ويُشَقُّ لحدي
ويَعْذِلُني السفيهُ على بكائي كأني مبتلًى بالحزنِ وحدي
يقولُ قتلتها سفهًا وجهلًا وتبكيها بكاءً ليس يُجدي
كصيادِ الطيورِ له انتحابٌ عليها وهو يذبحها بحدِّ

- وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي يهنِّئُ العباسَ بن الفضل بن الربيع بولده عبدالله يوم ولد وقد استدعاه، فأنشده:

مدَّ الله لك الحياةَ مدّا حتى يكونَ ابنُكَ هذا جدّا
ثم يُفدَّى مثلما تُفَدَّى أشبهَ منكَ طلعةً وخدّا
وشِيَمًا محدودةً ومجدا كأنه أنتَ إذا تبدّا

- ولعلويّ البصرة:

سألتُ أخي حاجةً فقال يدي تقصرُ
فقلتُ مجيبًا له: يكونُ كما تَذْكُرُ

مختصر عجائب الدنيا*

لابن وصيف شاه

في بحر المحيط عجائب كثيرة، وصور مختلفة... فيه سمك يطير في الليل ويرعى الندى، ويرجع إلى البحر قبل الشمس.

وسمكة إذا كتبتَ بمرارتها تُرى بالليل.

- وفي بحر الهند حيوان يشبه السرطان، فإذا خرج إلى البرِّ يصير حجرًا، يعملون منه كحلًا لوجع العين.
- وجزيرة الصِّنف كثيرة الذهب، حتى إن مقاود دوابهم وسلاسل كلابهم من ذهب، وقمصهم منسوجة بالذهب، ومن هذه النواحي يجيء المسك والعود، والأبنوس ودارصيني والزنجبيل، وأصناف التجارات.
- من عجائب البرجان من ولد يونان: إذا مات لهم الميت عمدوا إلى ما ترك من خدم وحاشية، جمعوهم وأوصوهم بوصايا، ثم يحرقونهم مع الميت، يقولون: نحرقهم في الدنيا فلا يحترقون في الآخرة!

---

* مختصر عجائب الدنيا/ إبراهيم بن وصيف شاه؛ تحقيق سيد كسروي حسن.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ، ٤١٦ ص.

خاض فيه المؤلف عباب بحور الدنيا ومحيطاتها، كما يقول المحقق، وصعد في جبالها، ومشى في سهولها، وولج غاباتها، وطوَّف أقطار الأرض شرقها وغربها... وتكلم في البحار وعجائبها، والأشجار وصفات ثمارها، والوحوش وطباعها، والبشر وأخلاقهم. وتكلم في علوم السحر، ومن أبدع في الكيمياء، ومن برع في الطب، والهندسة، والميكانيكا، وتكلم في مكر الماكرين وخدعهم وتغريرهم بضحاياهم، وفي عجائب التماثيل، وخصائص الطير، والحيوانات، والأسماك، وغرائب النبات، وعجائب المخلوقات، وعادات وتقاليد الإنسان.

ثم إنه نصح ووعظ، وحذَّر فأرهب، وأورد أشعارًا، وتكلم في الأوفياء، والكرماء، والبخلاء.

وختمه بشعر له مؤثر.

وكثير منه لا يصدَّق، وأوردت نماذج من الكتاب فقط...

- من العجائب التي عملها أقسامس الملك: تنور يشوي بغير وقود، وقِدرٌ يطبخ بغير نار، وسكين منصوبة إذا رأتها بهيمة أقبلت وذبحت نفسها بها، والماء الذي يستحيل نارًا، والزجاج الذي يستحيل هواء!
- بالقرب من سدِّ الإسكندر أمة قصار القدود، عراض الوجوه، سود الجلود، وفي جلودهم نقط بيض وصفر، أطول ما فيه خمسة أشبار!

  وأيضًا أمة بجزيرة الرامن، طول الطويل منهم أربعة أشبار، كلامهم كصفة الطير.
- وأكثر أهل سرنديب مجوس يعبدون النار، فإذا مات أحدهم جرُّوه على الأرض وألقوه في بيت النار فيُحرق.

  ومنهم المتعبِّد الشديد الاعتقاد في عبادة النار، يأتي لبيت النار قصدًا، فيقف عندها وهي مضرمة، فيُخرج خنجرًا وسكينًا، ويكشف جنبه ويقدُّه بتلك السكين، ثم يتناول أمعاءه بيده ويلقيها في النار، ثم يقذف بنفسه فيها فيُحرق، فيكون اجتهد في عبادتها بذلك جدَّ الاجتهاد!
- وفيها أيضًا شجر الفلفل، حمله عناقيد، على كلِّ عنقود منه ورقةٌ تغطيه من المطر حال نزوله، فإذا ذهب المطر ارتفعت عنه الورقة، وإذا عاد المطر عادت فغطته والتفَّت عليه!
- في البحر المحيط أسماك، طول السمكة مئة باع، وأكثر وأقل، لها أنيابٌ بارزة من أفواهها كأنياب الفيلة، بل هي أحسن منها وأقوى، إذا شقَّ الناب ظهر فيه نقوش عجيبة لا يُرى مثلها، يسمُّونه الناب المجوهر، يتخذ منه أهل تلك البلاد نصبًا للسكاكين، ومقبضًا للسيوف، ويُدبغ جلده فتراه أبيض من القطن، وأنعم من الحرير، وأثقل من الرصاص!
- في جزيرة موسى ويوشع نوع من السمك يُصاد ويجفَّف ويُدَقُّ فيتخذ منه ثيابٌ فاخرة تسمّى سمكين، وبها سمكٌ على خلقة البقر، يلد ويرضع!
- وبجزيرة الدرر قرودٌ بيض في غاية البياض، كلُّ واحد بقدر الجاموس الكبير!

- وبإزاء جزيرة النساء جزيرة بها أشجار عليها طيور يكاد نورها وحسن أرياشها يخطف الأبصار، فإذا قصدها أحدٌ غاصت في الماء!
- عين أذربيجان ينبع ماؤها ويسير عنها يسيرًا فينعقد حجرًا، والناس يتخذون له قوالب على أيّ صفة أرادوا، ويصبُّون فيها الماء، فيجمد على الصفة التي أرادوا.
- الفيل يهرب من القط إذا رآه قاصدًا نحوه.
- لما توفيت ست مصر بنت الحاكم بأمره، وجد عندها ثمانية آلاف جارية، منهن ألف وخمسمئة ثيبات، والباقي أبكار، وثلاثون زير صيني مملوءة مسكًا، وأما المال والتحف والقماش فلا حصر له!
- في سنة ٤٤٨ هـ جاءت ببغداد ريح سوداء، واشتدت وعظم برقها، وزاد رعدها، وأمطرت السماء رملًا وترابًا أسود، ووقعت عدة صواعق، حتى ظن الناس أنها القيامة، وبقيت يومها إلى بعد العصر، ثم انجلت. وشاهد هذه الحادثة الشيخ الإمام العالم أبو بكر الطرطوشي، وأورده في أماليه.
- عليك بالأدب الحسن، فإنه يكسب المحبة والمودَّة.
- لبعضهم:

الخيرُ والشرُّ مزدادٌ ومنتقصٌ فالخيرُ منتقصٌ والشرُّ مزدادُ
وما أسائلُ عن قوم عرفتهمُ ذوي الفضائل إلا قيل قد بادوا

- ولآخر:

يا كريم اللسان من غير فعلٍ ليت في راحتيكَ جودَ لسانكْ
مواعيد عرقوب حفظت جميعها وليس لعرقوب كمثل بنانكْ

- عرض على هارون الرشيد جاريتان، إحداهما بكر والأخرى ثيِّب، فأخذ البكر وأعرض عن الثيب، فقالت الثيب: لمَ أعرضَ عني الأمير؟ فقال بديهًا:

قالوا تحبُّ مطيَّةً فأجبتهم أشهى المطيّ إليَّ ما لم يُركبِ
كم بين حبَّةِ لؤلؤ مثقوبة تزهو وأخرى دونها لم تُثقبِ

قالت: أوَ يأذن لي الأمير في الجواب؟ قال: أذنت. فقالت:

إن المطية لا يلذُّ ركوبها حتى تُذلَّلَ بالخطامِ وتُركبُ
والدرُّ ليس بنافعٍ في نفسه حتى ينفذَ بالنظامِ ويُثقَبُ

فأعجبهُ ذكاؤها وحسن استحضارها للجواب بالشعر بديهة، فاشتراها، وحظيت عنده.

- ولبعضهم:

صِلْ من تحبُّ وإن أبدى معاتبه فأطيبُ العيشِ وصلٌ بين عينينِ
واقطعْ مودَّةَ مَن في الناسِ تبغضهُ فقلَّ ما تسعُ الدنيا بغيضين

- قيل: مرَّ طفيلي على قوم يأكلون فلم يعزموه، فوقف يصلي، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ فقال: الاستخارة، إما في قتالكم أو الدعاء عليكم. فقالوا له: دع ما عزمتَ عليه وتقدَّم فكُل.
- جاء طفيلي إلى عرس فوجد الباب مغلقًا والبوّاب من ورائه، فمضى للسوق واشترى صحونًا، ورهن خاتمه عند التاجر، وجاء بها ودقَّ الباب، فقال البوّاب: من أنت؟ فقال: أما تعرفني؟ أرسلوني أشتري لهم صحونًا وقد جئتُ بها. ففتح له فدخل، فوضعها في زاوية الدار، وأكل، ثم حمل الصحون وخرج. فقال له البوّاب: قد رجعت بالصحون! فقال: إنهم يطلبون أكبر منها. فخرج وأعادها لصاحبها، وأخذ الخاتم وانصرف.
- مما حدَّث به زياد عن مالك بن محمد بن يحيى، أن جدَّته عاتبت جدَّه في ترك الجماع لما كبر، فقال لها، أوَأنتِ على قضاء عمر بن الخطاب؟ قالت: وما قضى به عمر بن الخطاب؟ قال: قال: إن الرجل إن أتى زوجته عن كلِّ طُهرٍ من حيضٍ فقد أدَّى حقَّها. فقالت: أرى الناس قد تركوا قضاء عمر وبقيتُ أنا وإياك عليه، فالحمد لله على ذلك.
- الفقيرُ قوتهُ ما وجد، ولباسهُ ما ستر، ومنزله حيث حلّ.
- في سنة ٥٥٢ هـ وقعت زلازل عظيمة بحلب والشام وشيراز وأنطاكية وطرابلس، وهلك بذلك خلق عظيم لا حصر لهم، حتى إن مؤدب أطفال خرج من المكتب وعاد فوجد

المكتب قد وقع على الأطفال وماتوا جميعًا، ولم يأتِ أحد يسأل عنهم؛ لأن آباءهم ماتوا جميعًا. وأما شيراز فهلك كل من فيها، إلا امرأة وخادمًا واحدًا لا غير.

- لبعضهم:

جربتُ دهري وأهليه فما تركتْ ... ليَ التجاربُ ودَّ امرئٍ طمعا
هذا يخونُ وذا بالمكرِ ملتبسٌ ... وذاك طوق الحياءِ من جيدهِ خلعا

- أقوى مكائد العقلاء، إظهارُ المودَّةِ للأعداء، ما دام لدولتهم إقبال.
- قال بعضهم:

إذا الشيبُ قد كسا وجهكَ نورًا ... فذاك رسولُ الموتِ حقٌّ قدومه
وقم ودعِ الدنيا بطاعة ربِّها ... واقلعْ عن الآثامِ قبل هجومه

- وقال آخر:

ما بالُ وعدِكَ مثلُ حظِّي نائمٌ ... يُبدي سُباتًا كلما نبَّهته
وكأنه الطفلُ الصغيرُ بمهده ... يزدادُ نومًا كلما حرَّكته

- وقال غيره:

قصِّرْ عن الشرِّ تغنم ... فقلّةُ الشرِّ مغنمْ
فأولُ الشرِّ ضرٌّ ... وآخرُ الشرِّ مغرمْ

- ولغيره:

جملةُ الأمرِ أني مفلس ... وليس للمفلسِ إخوانُ
وكلُّ من عاش بلا درهم ... فعيشهُ همٌّ وأحزانُ

- ولآخر:

من يملك النقدينِ كان عداؤه ... من أهله ومن الذين لهم صحب
أهله يبغونَ موته إرثًا له ... والصحبُ من حسدٍ يودُّوا لو نكب

- غيره:

إن رمتَ تصحب أقوامًا فكن رجلًا ... وكن لسرِّك ذا صونٍ وكن حذرا
لعلهم بعدوٍّ يصبحون غدًا ... يرموا بنارٍ لها من شرِّهم شررا

- غيره:

أرسلتَ تمرًا أم نوى فقبلته بيد الودادِ فما عليك عتابُ
وإذا تباعدت الجسومُ فودُّنا باقٍ ونحن على النوى أحبابُ

- غيره:

إياك والسكنى بأرض مذلَّةٍ تعدُّ مسيئًا فيه وإن كنتَ محسنا
فنفسَكَ أكرِمْها وإن ضاق مسكنًا عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

- قال الأصمعي: سمعتُ أعرابيًّا يقول: السؤالُ ذلٌّ يسلبُ الشريفَ شرفه، والحسيبَ حسَبه، والعزيزَ عزَّه.
- وقال بعضهم: كان السؤال عن حاجةٍ فصار سببًا، وكان للنفسِ مغرمًا فصار مغنمًا، وكان في المروءة خسارة فصار تجارة.
- وقال رجل لابنه: يا بني، اطلب المال وعليك بالاجتهاد في تحصيله، فإنه عزٌّ في الأهل، ورفعة في العشيرة، وقمعٌ للحاسد، وقهرٌ للعدو، أو تستعينُ به على مصالح الدنيا والدين.
- حُكي أن إنسانًا رأى مجنونًا يخبط في الأرض بيديه وهو يقول هذه الأبيات:

ومن عجب الأيام أنك قاعدٌ على الأرض في الدنيا وأنت تسيرُ
وسيرُك في الدنيا كسيرِ سفينةٍ بقومٍ قعودٍ والقلوعُ تطيرُ
كذلك أيام الحياةِ بأهلها تسيرُ وأعمالُ العبادِ كثيرُ

- قال بعضهم: رُبَّ بعيدٍ لا يُفقَدُ خيره. وقريبٍ لا يُؤمَنُ شرُّه...

وأكرم الناس صحبةً وأحسنهم عشرةً مَن إذا قربَ منَح، وإذا بَعُدَ مَنح، وإذا ظُلِمَ صَفح.

- وقالوا:

إن الصديقَ الصدقَ من كان معك ويضرُّ نفسَهُ لينفعكْ
ومن إذا ريبُ زمانٍ صدعك شتَّتَ فيك شملَهُ ليجمعكْ

- ولآخر:

تعمَّدْ بنصحي في انفرادِ وجنِّبني النصيحةَ في الجماعهْ

فإن النصحَ بين الناس نوعٌ من التقريعِ لا أهوى سماعهْ

- قال الطرطوشي في شرح الرسالة: إن المصران للإنسان طوله ثمانية عشر شبرًا، فثلث للأكل، وثلث للشرب، وثلثٌ للنفَس.
- قال بعض الحكماء: من كثر أكله وشربه كثر نومه، ومن كثر نومه كثر لحمه، ومن كثر لحمه قسا قلبه، ومن قسا قلبه غرق في الآثام.
- لبعضهم:

من يصحب النذل يحذر من عداوته هل يجتني من أصول الحنظلِ العنبا
إن اللئيمَ وإن زادتْ مودَّته إذا رأى منك يومًا فرصةً وثبا
فلا تؤاخِ أخًا حتى تجرّبه من لم يجرّب صديقًا نفسَهُ عتبا

- غيره:

يا حسن الوجهِ توقَّ الخنا لا تبدلنَّ الزينَ بالشينِ
ويا قبيح الوجهِ كنْ محسنًا لا تجمعنَّ بين قبيحينِ

- قال بعضهم: إذا جالسكَ ثقيل فأعطه أذنًا صمّاء، وعينًا عمياء، ولسانًا أخرس، وأظهر الوعك، ونم.
- لآخر:

إن الثقيلَ لجنسِ الروحِ حمَّى كذاك للبصرِ المجلَّى غشاواتِ
والأرض تشكو الثقل منه حين مم شاهُ كأنها حملت سبعَ سماواتِ

- وقال بعضهم:

كُلْ ما أحوجكَ الدهرُ إليهِ إن تسألْ شيئًا فقد هنتَ عليهِ
فلا تطلبِ المعونةَ فيما سرَّكْ وضرَّك إلا لمعترفٍ بقدركْ
فما كلُّ إنسانٍ تُطلَبُ منه المعونة ولا يُسألُ الرفدَ في المونهْ

- قال بعض أهل الفضل:

كم قد مضى ذهبٌ مع قيلٍ مع ورقٍ وكم أتى بعدهم من ورقٍ وكم ذهبِ

- قال بعضهم:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ يواسيكَ أو يُسليكَ أو يتوجَّعُ
وإن كان من وصفِ المروءةِ خاليًا فيسمعُ ما تشكو كمن ليس يسمعُ

- الأديب الذكي هو الذي يكتب أحسن ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويوردُ أحسن ما يحفظ.
- قال بعضهم: ما أتى علينا زمانٌ إلا بكينا منه، ولا مضى عنا إلا بكينا عليه.
- قال بعضهم:

لا تُظهرنَّ لعاذلٍ أو غادرٍ حاليك في السّراءِ والضرّاءِ
فلرحمةِ المتوجّعينَ حرارةٌ في القلبِ مثلُ شماتةِ الأعداءِ

- ما وُجدت القناعة عند أحدٍ إلا وُجدَ عنده العزُّ والراحة.
- اعلم أن مثل الذي يغتابُ الناس كمثل رجلٍ نصبَ منجنيقًا، فهو يرمي به حسناته يمينًا وشمالًا.
- قال بعضهم: مصائب الدنيا خمس: المرض في الغربة، والفقر بعد الغنى، والعمى بعد البصر، والعجز عند الكبر، والحاجة عند اللئام.
- ولبعضهم:

إذا عاش الفتى ستين عامًا فنصفُ العمرِ تُذهبهُ الليالي
ونصفُ النصفِ يَذهبُ وهو طفلٌ فلا يدري اليمينَ من الشمالِ
وباقي العمرِ أوجاعٌ وشغلٌ فضاعَ العمرُ في قيلٍ وقالِ

ملتقط الحكايات*

لابن الجوزي

- حُكي عن بعض الأمراء أنه كان يجلس للشراب على الشط ويُظهر القِيَان والخمور، وكان ذلك في زمن الحسن بن يسار (البصري) فجمع الحسنُ جماعة من الصالحين، وقاموا تحت دار الرَّجل الأمير يَقرؤون القرآن، ويُظهرون الذِّكر في وقت ظهور ذلك المنكر، فجاءهم خادم له فقال: ما حاجتكم؟

فقال ابن يسار: تقول لهذا الرجل يكُفُّ عن هذا المنكر ولا يُظهره وإلَّا قاتلناه، فعاد وأخبره بذلك.

قال الأمير: وكيف يقاتلونني ولي كذا وكذا ألف من الجنود؟

فعاد الخادم وأعاد عليه ما قال الأمير، وقال: وكيف تقاتلونه؟

قال ابن يسار: نقاتله بسهام الليل.

قال: وما سهام الليل؟

قال: رفع الأيدي إلى الله عزَّ وجلَّ.

فلما بلغ الأمير ذلك قال: لا طاقة لنا بما قال. ثم كَفَّ عمَّا كان يُظهره.

- حُكي عن بعض العلماء أنه كان يقول: ليس في القيامة من الحَسرات أشدُّ من ثلاثة:

---

* ملتقط الحكايات/ عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)؛ تحقيق محمد صديق المنشاوي.- القاهرة: دار الفضيلة، ١٤٢٧ هـ.

ذكر محققه أنه يحتوي على مجموعة "من قصص الصالحين، وأحوال المسرفين الظالمين، وأخبار العبّاد، وسلوك الزهّاد، وحسرة الخاسرين، وتوبة الظالمين، وفضل الذاكرين وطرق المتوكلين، وكرامات السالكين، وحياة الشاكرين، والحب في الله، والتضرع والموالاة، وسوء الخاتمة، وحسن العاقبة، لنأخذ منها العبر؛ ونبصر الموعظة، وتكون لنا نورًا، ولأبنائنا هداية". وهذه مقتطفات قليلة منه.

والمؤلف عالم وواعظ مشهور، سبق التعريف به عند عرض كتب أخرى له.

رجلٌ ملكَ عبدًا فعلَّمه الإسلام والشرائع، فأطاع العبدُ ولم يُطعِ المولى ربَّه؛ فذلك يُحمَلُ إلى الجنَّة، ويُحمَلُ المولَى إلى النَّار.

ورجلٌ كسب مالًا من كلِّ وجه فلم يقَدِّمه، فوَرثه غيره فعمل فيه بالطَّاعة وقدَّمَه لنفسه، فهو ناجٍ به وصاحبهُ مؤاخَذٌ به.

ورجلٌ علَّم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل به، ففازوا به وكان هو الهالك.

- قال رجل لأبي عثمان: كنت أجد في قلبي حلاوة قيام الليل، وأنا لا أجدها الساعة.

فقال: لعلك شرهت بشيء من الدنيا[1] فذهبتْ بحلاوة ذلك من قلبك، وربما يعرف الله ضعفك ويريك قدرته فيسلب حلاوة مناجاة الليل حتى تتفرغ إليه لئلا تأمن مكره.

- قال بعض المشايخ: دخلنا على فتح المَوْصِلي وهو مريض، فقال: يا فلان: إذا لم يأكل الإنسان ولا يشرب أليس يموت؟ قلت: بلى؛ قال: كذلك القلب، إذا فارق ذكر الله تعالى مات.
- حُكي عن يوسف بن أسباط أنه قال: لو ائتمنني رجل على بيتِ مالٍ لظننتُ أن أؤديَ إليه الأمانة، ولو ائتمنني على زنجية أن أخلو معها ساعة ما أمنت نفسي عليها، وقد سمعت الشيخ سفيان الثوري يقول: ما بعث الله نبيًّا إلَّا وخاف فتنة النساء.
- حكى أبو علي الدقاق قال: ورثَ رجلٌ مالًا، فقال: إلهي، إني لا أحسن حفظ هذه الدراهم، وأنا أدفعها إليك لتردَّها إليَّ وقت حاجتي إليها.

ثم تصدق بها، فما احتاج ذلك الرجل طول حياته إلى شيء، وكان إذا أراد شيئًا فُتحَ له في الوقت!

- حُكي عن رابعة العدوية أنها جاءها جماعة من العُبّاد، فذكروا الدنيا، فجعلوا يذمّونها وهي ساكتة، فلما أكثروا أقبلت عليهم فقالت: كلكم يحبُّ الدنيا، ومن أحبَّ شيئًا أكثر من

---

(١) أي: اشتد حرصك.

ذكره، أما رأيتم الرجل العاقل يجيء إلى الجماعة يحَدّثهم بكلامِ ابنهِ الصغير إعجابًا به وفتنة؟!

- قيل: دخل الشعبي على عبدالملك بن مروان وبين يديه دفتر.

فقال: يا امير المؤمنين، إن الكتاب أفضلُ معاون، وخير مقارن، وأنبل جليس، وآنسُ أنيس، وأصدق صديق، وأحفظ رفيق، وأكرم مصاحب، وأفصح مخاطب، وأبلغ ناطق، وأخلص وامق[1]، يورد إليك ولا يصدر عنك، ويَحْكي لك ولا يَحكي عنك، إن أودعته سرًّا كتمه، وإن استحفظته علمًا حفظه، وإن فاتحته فاتحك، وإن فاوضته فاوضك، وإن جاريته جاراك، ينشط بنشاطك، ويَغتبط باغتباطك، لا يرغب عنك عند رغبتك فيه، ولا يتخلف عنك عند حاجتك إليه، لا يُخفي عنك ذكرًا، ولا يفشي لك سِرًّا، إن نشرته شهد، وإن طويته رقد، وإن سألته نطق، وإن استشهدته صدق، صامت متكلم، مستعرب مستعجم، خفيف المؤنة، كثير المعونة، حاضر كمعدوم، وغائب كمعلوم، في الليل نعم السمير، وفي النهار نعم المشير، إن طويته انطوى، وإن نشرته احتبى[2].

فقال عبدالملك: لقد حببت إليَّ الكتاب، وعظمته في نفسي، وحسنته في عيني، فأحسن صلته.

- عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال المرْوَزِي: دخلتُ يومًا على أحمد فقلت: كيف أصبحت؟

فقال: كيف أصبح مَن ربُّهُ يطالبه بأداء الفرائض، ونبيُّهُ يطالبه بأداء السُّنة، والمَلَكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، ومَلك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بنفقتهم؟!!

---

(١) أي: مُحبّ.

(٢) احتبى: جلس.

- قال الحريري لابنه: يا بني، اسمع ما أقول لك، إني قد جربتُ هذه المعايش فوجدتها أربعًا: إمارات، وصناعات، وزراعات، وتجارات، فلا حمدت فيها عيشة، ولا استرغدت فيها معيشة أبدًا:

أما الإمارات: فكأضغاثِ أحلام، وغُصَّة مشوبة بندام.

وأما الصناعات: فمكاسبها دقيقات، وليس فيها فضلٌ عن الأقوات.

وأما الزراعات: فمنهكة للأعراض، وقيدٌ عن الأغراض، وذلٌّ وإذلال، ورزق حلال.

وأما التجارات: فعرض للمخاطرات، ونهب للغارات، وما أشبهها بالطيور الطائرات.

فعليك يا بني بالعلم، فإنه باردُ المغنم، لَذيذ الطَّعم، صاحبه أينما حلَّ يُكرم، صاحبه أعزُّ جيل، وأكرمُ قبيل؛ فاطلبه غايةَ الطلب، واحرصْ على مطالعة الكتب، فإنه من جسرَ أيسر، ومن هابَ خاب، ولا تغضبْ عند الرَّد.

المنتخب من كتاب الهدايا*

لابن المرزبان

أهدى أبو شُراعة القيسي[1] إلى أبي يحيى عيسى بن أبي حرب يوم نوروز نعلًا مكتوبًا على شراكها بالحبر:

لم ألقَهُ يطأ الترابَ بنعلهِ إلا وجمتُ له وجومَ المعجبِ
وغفلتُ أفكر في مواطئ نعلهِ أن كيف لم يخضرَّ أو لم يُعشَبِ

فاشترى له مكان النعل دارًا!

- أهدى رجلٌ إلى الأعمش بطيخة، فلما جلس الأعمش قال له الرجل: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟ قال طيبة.

ثم أعاد، فقال: طيبة. ثم أعاد، فقال: إن كففتَ عني وإلا قِئتُها[2].

- بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع (وزير عباسي) بنعل، وكتب إليه:

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسها تَسعى بها قدمٌ إلى المجدِ
لو كان يحسن أن أشرِّكها خدِّي جعلتُ شِراكها خدِّي

- ذكر من فضائل التفاح، في معرض إهدائه:

- العينُ تنظرها، والأنف يشمُّها، والفم يطعمها.

---

* المنتخب من كتاب الهدايا لابن المرزبان أبي بكر محمد بن خلف، المتوفى سنة ٣٠٩ هـ/ تحقيق جليل العطية.- بيروت: دار الطليعة، ١٤٣٥ هـ، ٩٥ ص.

مختارات من أحد أجزاء كتاب "الهدايا" لابن المرزبان، اختاره أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي (ت ٥٩٨ هـ)، ويبدو أن الأصل كتاب ضخم.

وختمه المحقق بمستدرك التقطه من المصادر، وحرص أن تكون الأخبار التي ظفر بها مسندة إلى ابن المرزبان.

وأورد في المقدمة عناوين (١٥) كتابًا في الهدايا من التراث الإسلامي، وتبين منها أن أكبرها كتاب الهدايا لمحمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٢ هـ) صاحب "معجم الشعراء".

(١) من شعراء الدولة العباسية.

(٢) من القيء.

- التفاحة إن حملتها لم تثقلك، وإن رُميتَ بها لم تؤلمك، وقد اجتمع فيها لون كقوس قزح، من الحمرة والخضرة والصفرة، ولو انحلَّ التفاح لكان قوسًا، ولو استكيف كان تفاحًا.

- أهدى رجل إلى محمد بن زياد الثقفي دواة أبنوس محلّاة بذهب، وفيها أقلام مبرؤة، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أمَّ المنايا والعطايا زنجيَّةَ الأحسابِ
قد تحلَّتْ بصفرةٍ وكذاك الزنـ ـجُ شكل بصفرة الأثوابِ
في حشاها من غير حرب حِرابٌ هنَّ أمضى من مرهفات الحراب

- قال قيس بن الربيع: كان الأعمش إذا سمع كلامي غضب، فأهديت إليه نبقةً مَرَويَّة، فكنت أجيءُ فأستأذنُ عليه فيقول: افتح الباب وادخل وأغلق الباب!

- كان رجل يسمع من حماد بن سلمة، فركب بحر الصين، فقدم، فأهدى إلى حماد، فقال له حماد: اختر: إن شئتَ قبلتُها ولم أحدِّثك أبدًا، وإن شئتَ حدَّثتك ولم أقبل الهدية. فقال: لا تقبل الهدية وحدِّثني. فردَّ الهدية وحدَّثه.

- عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: أولُ رشوة كانت في الإسلام عمامة أهداها المغيرة بن شعبة إلى يرفأ حاجب عمر بن الخطاب، وكان يريد أن يأذن له خاليًا، فقال له يرفأ: على أن تعطيني عمامتك هذه. وكان أراد الخلوة به قبل ذلك، فلم يقدر عليها منه، فقال له: عندي أختها أرسل بها إليك، فرجع فطوى عمامته حتى ذهب كسورها، ثم أرسل بها إليه، ولم يكن عنده غيرها، فأدخله عليه خاليًا.

- أهدى الحسن بن وهب (الكاتب) إلى صديق له سكينًا، وكتب عليه:

قد أهديتُ لك سكينًا أملحُ من الوصلِ وأقطعُ من البَيْنِ

- أهدى أحمد بن المعذَّل (عالم مالكي) إلى أبي يحيى عيسى بن أبي حرب دفترًا فيه دعاء، وكتب إليه:

فيه دعاءٌ إذا ما الأمرُ أعضلني واستحكمَ الهمُّ في قلبي فأرَّقني

ناديتُ معتمدي في كلِّ نائبةٍ فلم أتمِّمهُ حتى وهو يخلصني

- كتب بعض الأدباء إلى صديق له، وأهدى إليه دفترًا:

قد أهديتُ لك من فنون كلامي، وعيون مقالي، دفترًا طريفَ المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ، يلذُّ بأفواه الناطقين، ويعلين على أفواه الصامتين.

- أهدى بعض أهل الأدب إلى بعض الكتّاب في يوم نوروز كتابًا فيه أخبار وآداب، فاستقلَّه، فكتب إليه المهدي:

هدية تصغر لكنها في عين من يعرفها تكبرُ
بعثتها كالروض في حُسنه أنوارها مشرقةٌ تُزهر

وفي آخرها:

لا تحقر الدفتر وانظر إلى ما قد حوى من علمه الدفترُ
مِن نادرِ الأخبار أو محكمِ الأشعار أو مكرمة تؤثرُ
كالدرِّ في الأصدافِ ما ضمَّت الأوراقُ مما خطّت الأسطرُ
أنكرتُ منها يا أبا جعفرٍ ما مثله عندك لا تُنكرُ

نزهة الأبصار في النكت والأخبار*

للكاتب الحلبي

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.
- قال فيلسوف: العبيدُ ثلاثة: عبدُ رقّ، وعبدُ شهوة، وعبدُ طمع.
- قيل لراهب: من أين تأكل؟ فأشار إلى فيه، وقال: الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين.
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فوتُ الحاجة أهونُ من طلبها إلى غير أهلها.
- قال محمد بن الحنيفة رضي الله عنه: أفضلُ المال ما أفاد شكرًا، وأورثَ ذكرًا، وأوجب أجرًا، ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنًا جميلًا.
- دخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال: سألتك بالله العظيم ورسوله الكريم إلا أجرتني من خصمي.

قال: ومن خصمك حتى أجيرك منه؟

---

* نزهة الأبصار في النكت والأخبار/ تأليف أبي الرضا إبراهيم بن محمد سعيد الشهير بالكاتب الحلبي؛ دراسة وتحقيق محمد عايش.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٥ هـ، ٢٥٦ ص.

يصف المؤلف كتابه هذا بقوله: لما كان الكتاب أصدق نديم، وألطف حكيم، يؤيِّد الألباب، ويفيد الآداب، عنَّ لي أن أجمع كتابًا من أخبار المتقدِّمين، وآثار المتأدبين، وأن أنظم فيه شتيت غرائب تتجلى بذكرها الأسماع، ونوادر لا يخلو من يقف عليها من الانتفاع، مشتملًا على حكايات ظريفة، ونكت لطيفة، ليكون عونًا على المذاكرة، وحسن المفاكهة والمسامرة.

ولعلَّ من يطالع عباراته، ويقتطف من جنى ثمراته، أن يقتفي أثرًا حسنًا، ويكتسب حمدًا وثناء، وأن يتخلق بخلق كريم، ويتصف بوصف وسيم.

ورتبه على عشرة فصول، هي: في التوكل على الله والرضا بما قسمه، وفي اصطناع المعروف، أحاديث الأجواد ومكارم الأخلاق، المشورة والنصيحة والوزراء وصفاتهم، الحِلم وطيب ثمرته والعفو وحسن عاقبته، التخلص من يد الملوك والحكام بحسن الاعتذار والسلوك، الوعد وحسن العهد، سرعة أجوبة الأذكياء وعبارات الفضلاء، نكت ساقها التصنيف ونوادر جرَّها التأليف، وخاتمة بها أشعار.

والمؤلف مغمور، من حلب، نظم الشعر، وألف كتابه هذا بطلب من راشد الكمالي الهاشمي، في سنة ١١٩٧ هـ.

فقال: الفقر.

فأطرق الوزير ساعة وقال: قد أمرتُ لك بمئة ألف درهم.

فأخذها وانصرف.

فبينا هو في الطريق إذ أمر الوزير بردِّه. فلما رجع قال له: سألتك بالله العظيم وبرسوله الكريم، متى أتاك خصمك معنِّفًا، فارجع إلينا متظلِّمًا.

- نزل أعرابي برجل فقال له بعض قومه: لقد نزلتَ بوادٍ غير ممطور، ورجلٍ بقدومك غير مسرور، فأقمْ تندم، أو ارحل تغنم.
- اشترى رجل من البخلاء دارًا، وانتقل إليها، فوقف به سائل فقال: فتح الله عليك. ثم وقف ثانٍ فقال له مثل ذلك، ثم وقف ثالثٌ فقال له مثل ذلك. ثم التفت إلى ابنته فقال: ما أكثر السؤّال في هذا المكان، فقالت: يا أبت ما دمت متمسكًا له بهذه الكلمة فما تبالي أكَثروا أو قلُّو.
- قيل: إن بعض السؤّال سأل شخصًا، فقال له: يفتح الله. فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ فقال الرجل: ذهبوا مع الذين كانوا لا يسألون الناس إلحافًا.
- يقال: من اصفرَّ وجهه من النصيحة، اسودَّ وجهه من الفضيحة.
- قيل: الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلَّةً ستر.
- لبعضهم:

وإذا بغى باغٍ عليك بجهلهِ فاقتلهُ بالمعروفِ لا بالمنكرِ

- ولآخر:

وإذا استشارك مَن تودُّ فقل له أطعِ الحليمَ إذا الحليمُ نهاكا

واعلم بأنك لن تسودَ ولن ترى سبل الرشادِ إذا أطعتَ هواكا

- قال محمد بن شيرزاد: الأصاغرُ يهفون، والأكابرُ يعفون.

- وقالوا: من صحب الناس بلسان صادق، وعاملهم بحسن الخلائق، وألزمَ نفسه رعيَ العهود والمواثق، فقد أرضى المخلوق وأطاع الخالق.
- وقالوا: إذا تُرك الوفاءُ نزل البلاء.
- قيل: إن أمير المؤمنين الرشيد أرقَ ذات ليلة أرقًا شديدًا، فقام هو ووزيره في التبديل، وخرجا متخفيّين آخر الليل، فمرَّا على مقبرة، فوجدا امرأة جميلة الوصف، كثيرة الظرف واللطف، بديعة الحسن، بادية الحزن، وهي منكبَّةٌ على قبر وتنشد:

بالله يا قبرُ هل زالتْ محاسنُه وهل تغيَّرَ ذاك المنظرُ النضرُ
يا قبرُ ما أنت لا روضٌ ولا فلَكٌ فكيف يُجمَعُ فيك الشمسُ والقمرُ؟

قال أمير المؤمنين: فظننا أن صاحب القبر ولدها، فتقدمتُ إليها وقلت: ما يكونُ لكِ صاحبُ هذا القبر؟

قالت: زوجي، قضَّيتُ معه أحسن مدةٍ دلالًا، ولم أجدْ له مثالًا، توفي وكان ذا حُسنٍ وجمال، وهو حدَثُ السنِّ في الرجال.

فقال لها أمير المؤمنين: هل لكِ أن تتزوجيني وأنا أمير المؤمنين؟

فسترت وجهها وأنشدت تقول:

وإني لأستحييه والتربُ بيننا كما كنتُ أستحييه وهو يراني
يعزُّ عليَّ أن أراهُ كما ترى عزيزٌ عليه أن يراك تراني

قال: فلمّا رأى منها ذلك الوفاء العظيم، أعجبه، فتركها ومضى.

- قال رجل لبعض المغنين: والله ما تعرفُ الثقيلَ الأول ولا الثقيل الثاني.

فقال: وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك.

- عاد رجلٌ مريضًا فقال: ما تشتكي؟

قال: وجعُ الخاصرة.

قال: والله هذه كانت علَّةُ أبي فمات بها، فعليك بالوصية يا أخي.

فدعا المريضُ ولده فقال: يا بني، أوصيك بهذا أن لا تدعه يدخلُ عليَّ بعد هذا اليوم.

- حكى الحافظ قال: كان جُعيفران يماشي رجلًا، فدفعه الرجل على كلب، فقال له: لمَ فعلتَ هذا؟

  فقال الرجل: أردتُ ان أقرنك معه.

  فقال: فمع من أنا منذ الغداة.

- من النكت اللطيفة ما يُحكى أن بعضهم صحب رجلًا نحويًا في بعض الطرق، فمرض النحوي، وأراد الرجلُ أن يفارقه، فقال له: ما أقولُ لأهلك إذا قدمتُ عليهم؟

  قال: قل: صدَّعتهُ رأسَه، وأوجعتُهُ أضراسَه، ووهنتْ يداه، وتورَّمتْ قدماه، وأصابه ثقلٌ في بدنه، ووجع في بطنه، وريحٌ في وركيه، ورمدٌ في عينيه.

  فقال الرجل: لستُ أحملُ حفظ هذا كله، بل أهبُّ وأقول إنه قد مات، والسلام.

نزهة الألباب

الجامعة لفنون الآداب*

للأدكاوي

حكى يوسف بن إبراهيم الكاتب، أنه كان واقفًا بين يدي الهادي وهو على حمار، فظفر برجلٍ خارجي وهو بالباب، فأمر بإدخالهِ فأُدخل، وقد قبض عليه اثنان، فلما قرب من الهادي جذب نفسه منهما واخترط سيف أحدهما، وأقبل نحو الهادي وكاد يعلوه بالسيف، وهربَ مَنْ حوله. فلم يلتفت إليه الهادي ولم ينزل عن حماره، وقال: اضربْ عنقه يا غلام. ولم يكن خلفه أحد! فالتفت الخارجيُّ، فوثب الهادي عليه فصرعه، وأخذ منه السيف وضرب عنقه.

قال: ولم يركبْ بعدها حمارًا، ولم يفارقْ سيفه.

- قيل لبعض الجبناء: تقدَّمْ للحرب. فقال منشدًا:

وقالوا تقدَّمْ قلت لستُ بفاعلٍ أخافُ على فخّارتي أن تحطَّما

---

* نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب/ تبويب عبدالله بن عبدالله الأدكاوي، الشهير بالمؤذِّن المصري (ت ١١٨٤ هـ)؛ تقديم وتحقيق عبدالقادر سعود.- المغرب: مركز العمودي لترجمة ونشر التراث المخطوط، ١٤٣٣ هـ، ٢مج (١٤٣١ص).

هذا تبويب وترتيب لكتاب "العزيز المحلَّى" في المحاضرات، لمؤلفه عز الدين بن محمد الكميلي، المتوفى بعد ٨٩٦ هـ.

جعله كله بمثابة الحكاية، فيورد الخبر أو القصة ويقول: حكى فلان، أو حُكي.

وفيه أخبار وأشعار، وعدد كبير من الرسائل والنوادر والمسائل الفقهية، وأحداث ووقائع تاريخية، وطرائف وحكايات وآداب، وفيه خلط بين الهزل والجد.

وجعله في أربعين بابًا، منها: أخبار بعض الملوك العظام وذكر حوادث أيامهم، الشجاعة وأخبار بعض الشجعان، الجود وخبر أهله الكرام، الذكاء والفطنة وصدق الفراسة، الدهاء والمكر والحيل المأثورة عن ذوي السياسة، الأجوبة المستملحة والمراجعات المستظرفة، بديع الاستعطاف ومليح الاستعذار والاستلطاف، المباسطة والمداعبة، خبر بعض المجانين وما في معناهم من البله والمغفلين، الفصاحة والبلاغة في الكلام، الهفوات والزلات اللسانية في الشعر وغيره، أخبار المتكبرين والجبابرة وسوء عاقبتهم الخاسرة، غرائب الاتفاق الواقعة في الآفاق، أشياء عجيبة ونوادر غريبة، صنائع فائقة ومصانع رائقة، الرثاء والتعزية، خبر من رزق الثبات عند تحقق الموت والفوات...

فلو كان لي رأسانِ أتلفتُ واحدًا ولكنهُ رأسٌ إذا زال أعقما
وأيتمُ أولادًا وأرملُ نسوةً فكيف تطيبُ النفسُ أن تقدَّما

- حكى ابن خلِّكان في تاريخه أن بوري بن أيوب بن شادي أخا السلطان صلاح الدين بن أيوب، رآه بعضُ أصحابه في النوم وسأله شيئًا على عادته معه، فلفَّ كفنه ودفعه إليه، وأنشد:

لا تستقلنَّ معروفًا سمحتُ به ميتًا وأمسيتُ منه عاريَ البدنِ
ولا تظنَّ جودي شابهُ بخل من بعد بذلي ملكَ الشامِ واليمنِ
لكن خرجتُ من الدنيا وليس معي من كلِّ ما ملكتْ كفّي سوى كفني

- حكى العتبي قال: حدثني شيخ من منبج قال: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو فقيرٌ فأغنانا.

فقلت: وكيف أغناكم وهو فقير؟

قال: علَّمنا المكارم، فعاد غنيُّنا على فقيرنا، فأغنانا!

- حُكي أن يعض البخلاء كان لا يأكل إلا إلى نصف الليل، فقيل له في ذلك، فقال: يبردُ الماء، ويقمعُ الذباب، وينامُ الصبيان، ونأمنُ فجأة الداخل، وصرخة السائل.
- حُكي أن الشاعر مروان بن أبي الجنوب سفه على عليّ بن الجهم بحضرةِ المتوكلِ وهجاه بأشعار كثيرة، وعليٌّ ساكت لم يجبه، ثم قام عليٌّ من المجلس وهو ينشد ويقول:

بلاءٌ ليس يشبههُ بلاءُ عداوةُ غير ذي حسبٍ ودينِ
يبيحكَ منه عرضًا لم يصنه ويرتعُ في عرضٍ مصونِ

- توفي بعض القضاة سامحه الله تعالى فأخبرني بعض العدول بأنه رأى في منامه على قبره مكتوبًا بفحمة:

أُودِعْتَ في درَكِ الجحيمِ مخلَّدًا تبكي به بدل الدموعِ نجيعا[1]
ولقد أراحَ الله منك بلادَهُ وعبادَهُ والمسلمين جميعًا

(١) النجيع: دم الجوف.

- حُكي أنه كان لأبي الأسود الدؤلي جارٌ يؤذيه ويرميه بالحجارة، فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه، فكلموهُ في ذلك ولاموه، فقال لهم: لم أرمه، وإنما الله يرميه لبخله وقطيعته للرحم.

  فقال أبو الأسود: لا أكلم من يكذب على الله؟

  فقيل له: وكيف يكذب على الله؟

  قال: لأن الله تعالى لو رماني ما أخطأني، وأما هذا فلا يصيبني.

  ثم باع داره، فقيل له: أبعتَ دارك؟

  فقال: ما بعتُ داري، وإنما بعتُ جاري. فأُرسلت مثلًا.

- حُكي من أخبار المتطفلين، قيل: إنه ليمَ بعضهم على التطفل، فقال: ما بُنيت المنازلُ إلا لتُدخل، ولا قدِّمتِ الأطعمةُ إلا لتؤكل، وإني لأجمعُ في التطفل بين خلالٍ حسنة، أظلُّ مجالسًا، وأقعدُ مؤانسًا، وأنبسطُ وإن كان ربُّ الدارِ عابسًا، ولا أكلفُ مغرمًا، ولا أنفقُ درهمًا!

- قيل لبشار بن برد: إن فلانًا يزعمُ أنه لا يبالي أن أتاهُ واحدٌ أو ألف؟!

  فقال: صدق؛ لأنه يفرُّ من الواحدِ كما يفرُّ من ألف!

- حكى بعض المحدثين أن أحلى الحديث وأحسنه موقعًا: أن يُجتنبَ منه الأحاديثُ الطوالُ ذواتُ المعاني المغلقة، وأن أحسنه النكتُ القصيرةُ الحلوةُ المعاني المفهومةُ التي ترتاحُ إليها النفوس، وأن القسم الأول أشبَه بمجالس القصّاص، والثاني أشبهُ بمجالس الخواص.

- حُكي أن رجلًا قال لبعض الملوك وقد استحضرهُ ليعاقبهُ على جنايةٍ جناها: أنا ممن لا يحاجُّكَ عن نفسه، ولا يغالطكَ في جرمه، ولا يلتمسُ رضاك إلا من جهة عفوك، ولا يستعطفكَ إلا بالاعتراف بالزلة.

  فاستحسنَ ذلك منه وعفا عنه.

- حُكي أنه فاخرَ كاتبٌ نديمًا، فقال الكاتب: أنا معونةٌ وأنتَ مؤونة، وأنا للجدِّ وأنت للهزل، وأنا للشدَّةِ وأنت للذَّة، وأنا للحرب وأنت للسلم.

فقال النديم: أنا للنعمةِ وأنت للخدمة، وأنا للحظوةِ وأنت للمهنة، تقوم وأجلس، وتحتشمُ وأنا مؤنس، وأنا أخدمُ وأنت معين، وأنت تابعٌ وأنا قرين، وإنما سميت نديمًا للندم على مفارقتي.

قال: فأفحم الكاتب!

- مرَّ بعض المجانين على قبر سارق فقال: رحمك الله، لقد كنتَ أسودَ الجلباب، حادَّ السكّين، إن نقبتَ فجردان، وإن تسلَّقتَ فسنَّور، وإن استلبتَ فحِدأة، وإن ضربتَ فأرض، وأراك اليوم قد وقعتَ في زاوية سوء، ولكن ليس كلُّ حبسٍ تُحبسُ فيه تخلصُ منه، ولكن هذا الحبس إلى يوم التنادي على أموالِ العباد.
- وصف بعضُ البلغاء عاملًا وجورَهُ للمأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترك فضَّةً إلا فضَّها، ولا ذهبًا إلا ذهبَ به، ولا عِلْقًا إلا عَلَقه[1]، ولا ضيعةً إلا أضاعها، ولا غلَّة إلا غلّها، ولا عَرَضًا إلا عَرض له، ولا جليلًا إلا أجلاه، ولا رقيقًا إلا أرقَّه.

فضحك المأمون منه، وصرفه عن ناحيته.

- قال بعض الأعراب: نحن أمراءُ الكلام، فينا نبتت عروقه، وعلينا تدلَّت غصونه، فنحن نجني منه ما حلا وعذب، ونترك ما ملح وخبث.
- حاصر ملكٌ بعض الحصون، فظهر عليه أهل الحصن حتى كادوا أن يظفروا به، فقاتلهم قتالًا شديدًا حتى ظفر بهم. ثم التفتَ فلم يجد كاتبه، ووجد طبيبه، فقال: اكتبْ لمن خلفنا بشارةً بالفتح، وأخبرهم بما رأيت. وناوله رقعة، فقال له: اكتب فيها ذلك. وهو لا يعرف ما يكتب، لكونه لا يعرف صناعة الرسل. فكتب يقول: لقد أحاط بنا المخذول

(١) العِلْق: النفيس من الأموال، وعلقه: أكله.

حتى صار كالدائرة، بحيث لو وقع مبضعٌ لوقع على عرقٍ مشترك أو قيفال[1]، فلم يكن إلا كنبضةٍ أو نبضتين حتى لحق العدوُّ بحران[2] عظيم وهلك بسعادتك يا معتدل المزاج. وهذه غاية البلاغة.

- قال المؤلف: حُكي عن بعض أصحابنا قال: أتيتُ إلى امرأةٍ أسألها عن عبدٍ لها اسمه سعد، فقلت له: سعدٌ هنا؟ فقالت: العبد، لا. حذرًا من التطيرِ إذا قالت: لا، أي ليس هنا سعد.
- لما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الأنهار (وهو أميرها)، دخل عليه عبدالرحمن بن شبيب (نديمة)، فقال له ابن سليمان: كيف ترى بناءنا؟

قال: بُنيت أحسنَ بناء، بأطيب فناء، وأوسعِ فضاء، وأوفقِ هواء، على أحسن ماء، ما بين حِسانٍ وظباء.

فقال له: والله لبناءُ كلامك أحسنُ من بنائنا!

- قال الأصمعي: حججتُ فنزلتُ حلَّة، أي أهل الخيام، في يوم الجمعة، فإذا أعرابيٌّ قد كوَّر عمامته، وتقلَّد سيفه، وصعد منبرًا من طين، فقال: الحمدُ لله ذي الكبرياء، وصلى الله على سائرِ الأنبياء، وخصَّ محمدًا بأكثره، وبارك في موضعه وكوثره. أيها الناس، إنما الدنيا دارُ ممرّ، والآخرة دارُ مقرّ، فتزوَّدوا من ممرِّكم لمقرِّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلمُ أسراركم، ولن يتصل أحدٌ من عمره يومًا إلا بفراق آخر، وإنَّ أمسًا عظة، واليوم غنيمة، وغدًا أمنية، فعمِّروا ما تُقدِمون عليه، وراقبوا مَن ترهبون إليه، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، فمنها خُلقتم، وإلى غيرها نُدبتم، ولا قويَّ أقوى من الخالق، ولا ضعيف أضعف من المخلوق، فلا مفرَّ من الله إلا إليه {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[3].

---

(١) القيفال: عرق في اليد يفصد.

(٢) الحران هو عقد الأطباء ما حدث للمريض دفعه في الأمراض الحارة.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

- دخل بعض الشعراء على الرشيد، فأنشده قصيدة جيدة، فاستراب فيها، واتهمه بها، وقال له: أسمعك مستحسنًا وأنكرك متهمًا، فإن كنت صاحبَ الشعر فقل في هذين. وأشار إلى الأمين والمأمون.

فقال له: لقد حملتني على خطر: هيبة الخلافة، ووحشةُ الغربة، وروعةُ المفاجأة، وجلالةُ المقام، وصعوبةُ البديهة، وشرادُ القوافي، فليمهلني أميرُ المؤمنين ريثما يتألف نافرُ القول ويتآنسُ شاردُ المعنى.

فقال له الرشيد: لا عليك، فقد جعلنا اعتذارك عوضًا عن امتحانك.

فقال: إذًا نفستَ الخناق، وسهلت ميادين السباق. ثم أنشد يقول:

هُنئتَ بعبدالله بعد محمدٍ ذُرَى قبةِ الإسلامِ فاخضرَّ عودها
هما طنَباها بارك الله فيهما وأنت أميرُ المؤمنين عمودُها

فقال له الرشيد: وأنت بارك الله فيك.

وأمر له بخلعة وصنيعة.

- كان أبو البركات هبة الله محمد المعروف بابن الوكيل شيخًا ظريفًا، قال: كنتُ في زمنِ الربيع مقيمًا بنصيبين، فجلستُ يومًا في داري، فأحضرتُ من بستاني شيئًا كثيرًا من الورد والياسمين، فعملتُ على سبيل الولع دائرة من ياسمين، وقابلتها بدائرة من الورد، فجعلتُ أنظرُ إليها، فبينما أنا كذلك، إذ دخل عليَّ شاعران كانا بنصيبين، أحدهما يعرف بالمهذَّب، والآخر يعرف بالحسن البرقعيدي، فقلت لهما: قولا في هاتين الدائرتين شيئًا، بشرط أن تتفرقا، ويقولَ كلٌّ منكما ما تيسَّر له من غير أن يسمع الآخر.

ففرَّقتهما، ثم دخل بالمهذَّب المذكور، فقال:

يا حُسنها دائرةً من ياسمينٍ مشرقِ
والوردُ قد قابلها في حلةٍ من شفقِ
كعاشقٍ وحِبِّهِ تغامزا بالحِدَقِ
فاحمرَّ ذا خجلٍ واصفرَّ ذا من فَرَقِ

ثم دعوتُ الحسن فقلت: هات، فقال:

يـا حُـسـنـهـا دائرةً مـن يـاسمين كالحُلي
والـوردُ قـد قـابـلـها بـحـمـرةٍ كـالشعلِ
كـعـاشـقٍ وحِـبِّـهِ تـغـامـزا بـالـمُـقلِ
فـاحمرَّ ذا من خجل واصـفرَّ ذا من وجلِ

قال: فتعجَّبتُ من تواردهما على ذلك وحكاية الحال.

- كان حميد بن سعيد كاتب الإنشاد بديوان المستعين بالله، وكان حميد المشار إليه مقدَّمًا في الكتابة، حسن الرسائل، حافظًا لما يستحسن من الأخبار ويُستجادُ من الأشعار. متصرِّفًا في فنون من العلوم، وله أشعار حسنة، منها قوله:

الله يعلمُ والدنيا مولية والعيشُ منتقلٌ والدهرُ ذو دولِ
لأنتَ عندي وإن ساءت ظنونك بي أحلى من الأمنِ عند الخائفِ الوجلِ
وللفراقِ وإن هاجت فجيعته عليك أخوفُ في قلبي من الأجلِ

- حُكي أن هذا من أظرفِ الشعر، وهو من نظم أمية بن أبي الصلت الأندلسي ابن عبدالعزيز الشاعر:

وقائلةٍ لي: ما لذكركَ خاملٌ أأنت ضعيفُ الرأي أم أنت عاجزُ
فقلتُ لها: ذنبي إلى القومِ أنني لِما لم يحوزوهُ من الفضل حائزُ
وما فاتني شيءٌ سوى الحظِّ وحده وأما المعالي فهي فيَّ غرائزُ

- قال القاضي أبو بكر بن قريض: كنتُ عند الوزير أبي محمد الحسن المريني بالأهواز، فاتفق أن حضرتُ عنده يومًا في شهر رمضان، ونحن في يوم شديد الحر، فسمعنا صوت رجل ينادي: "الناطف واليوم صائف"[1]. فقال لي: ألم تسمع صوت هذا المسكين في مثل هذا الوقت، والشمسُ على رأسه والحرُّ تحت قدميه؟

(١) ينادي على حلوى.

ثم أمر بإحضاره، فرأى شيخًا ضعيفًا عليه قميص رثٌّ وعمامة وسخة، وهو بغير سراويل، فقال له: أيها الشيخ، لمَ لا تبيع في طرفي النهار، فإنه أرفقُ بك من هذا الوقت؟ فتنفَّس وقال: ما أهون على الراقد سهر الساهر. ثم أنشد وجعل يقول:

ما كنتُ بائعَ ناطفٍ فيما مضى لكن قضى لي ذاك أسباب القضا
فإذا المقلُّ تعذَّرتْ أسبابه رام المعاش ولو على جمر الغضا

فقال له الوزير: أرى لك أدبًا، فمن أين لك ذلك؟

فقال: أيها الوزير، إني من أهلِ بيتٍ لم يكن من صنيعنا ما ترى. وأسرَّ إليه أنه من ولد معن بن زائدة.

قال: فأعطاه مئة دينار وخمسة أثواب، وجعلها له رسمًا في كل سنة.

- حكى أبو الفرج المعافى قال: حججتُ سنة، وكنتُ بمنى أيام التشريق، فسمعتُ مناديًا ينادي: يا أبا الفرج. فقلت: لعله يريدني. ثم قلت لنفسي: في الناس خلق كثيرة يكنى بأبي الفرج. فلم أجبه.

فقال: يا أبا المفرج المعافى. فهممتُ أن أجيبه، ثم قلت: قد يتفق ذلك أن أحدًا اسمه المعافى ويكنى بأبي الفرج، فلم أجبه.

فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريا. فقلت: قد يتفق ذلك.

فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني. فقلت: لم يبق شكٌّ في مناداته إياي، إذ ذكر اسمي وكنيتي واسم أبي وبلدي الذي أنتسبُ إليها.

فقلت: نعم، ها أنا، فما تريد؟

فقال: لعلك من نهروان الشرق؟ قلت: نعم. فقال: أريد نهروان الغرب.

فعجبتُ من ذلك واتفاق الاسم والكنية والأب والبلد، وما علمت أن بالغرب موضعًا يسمى النهروان!

- قال أبو عمرو الزاهد: لما مات المبرِّد، فجعل أبو العباس ثعلب يبكي، فقيل له في ذلك، فقال: ما تحابَّ اثنان فمات أحدهما إلا وكان الآخرُ سريعَ اللحاق به. فمات بعده بقليل. رحمهما الله.
- وقف نحويّ على قصّاب فقال له: هذا اللحمُ من الضأن الفتيّ أم من الماعز الثني؟

فقال: هو من جيِّد الضأن.

فقال النحوي: ذبحتهُ لغرضٍ أم لمرض؟

فقال: ذبحته لأكتسب أنا وعيالي منه.

فقال النحوي: أفكان ذكرًا ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين؟

قال: كان ذكرًا ينطحُ الحائطَ يرميه، أو الحجرَ يُدميه.

فقال: أوَ كان يمجُّ الماء بشدقيه أم يمصُّه بشفتيه؟

قال: كان يدلي زلومته في الماء ويشربُ منه حتى يشبع!

قال: أو كان مرعاه الشِّيح والغبيران أم العصفر والريحان؟

قال: كان يرعى من النباتِ أيَّ شيء كان.

قال: أسننتَ شفرتك وقيل مُديتك؟

قال: جعلتها لو نزلت على رقبتكَ لقطعها؟

قال: أفبدأتَ بالبسملة وأظهرتَ الحمدلة، التي على وزن فَعْلَلَة، وقيل: فُعللة، والصحيح الأول؟

فقال القصّاب: اذهب عنا فقد قطعتَ في هذا اليومِ رزقنا.

- قال المؤلف: استظرفتُ هذا الشعر، وهو:

فأنفقْ إذا أيسرتَ غير مقترٍ وأنفقْ ولا تبخلْ به حين تعسرُ

فلا الجودُ يُفني المالَ والحظُّ مقبلٌ ولا البخلُ يُبقي المالَ والحظُّ مدبرُ

وقال آخر:

إذا جادتِ الدنيا عليك فجُدْ بها على الناس طرًّا قبل أن تتفلَّتِ
فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أقبلت ولا البخلُ يُبقيها إذا هي ولَّتِ

- قال اليزيدي: دخلتُ على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوبٌ فيها بالذهب، فلما رآني تبسَّم، قلت: أصلح الله أمير المؤمنين، أثمَّ فائدة؟

فقال: نعم، وجدتُ هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما، وقد أضفتُ إليهما ثالثًا، وهو الأخير:

إذا اشتدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ فدعهُ لأخرى ينفتح لك بابُها
فإن قِرابَ الأرضِ يكفيك ملؤه[1] ويكفيك سوءات الأمورِ اجتنابُها
ولا تكُ مبذالًا لعِرضك واجتنبْ ركوبَ المعاصي يجتنبك عقابُها

- حُكي عن ذي النون المصري رحمه الله قال: مررتُ بطبيب وعنده جماعةٌ بأيديهم قوارير بالماء الآسن فإذا هو يصف لكلِّ واحد ما يوافقه، فدنوتُ منه وسلمت عليه، وقلت له: صف لي دواءً للذنوب يرحمك الله.

وكان هذا الطبيب صاحب عقل، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال لي: يا فتى، إن وصفتُ لك الدواء تفهم؟ قلت: نعم إن شاء الله.

فقال لي: خذْ يا فتى عروق الفقر مع ورق الصبر، وإهليلج التواضع وإبليلج الخشوع، ثم ألقه في هاون التوبة فاسحقه ناعمًا، واطرحهُ في مرجل التقى، وضعْ عليه ماء الخوف، وأوقد تحته نار الشوق، وحطب التوفيق، وحرِّكه بعودِ العصمة حتى يزبد، وخلطه بزبد الحكمة، ثم صفِّه في منخل التفكر، ثم صبَّه في جام الرضى، وروِّحه بمروحةِ الحمدِ حتى يبرد، فإذا برد ضعه في إناء المناجاة، ثم امزجهُ بماء التوكل، ودوِّره بملعقة الاستغفار، ثم استعمل منه بعد البسملة، وتمضمض بعده بماء الورع، واستحمَّ عن الحرام حتى تموت، فإنك لا تصيب بعده معصية أبدًا إن شاء الله.

---

(١) هكذا، وفي مصادر أخرى: فإن قراب البطن....

- كان رجلٌ من الكوفةِ كثيرَ التعب والنصب، لا يستريحُ وهو في حوائج الناس وإدخالِ السرور على إخوانه والموافقةِ لهم، وكان رجلًا عفيفًا في دينه وأمانته، ليّن الكلمة للإخوان.

فقيل له يومًا: أخبرنا ما الذي هوَّن عليك النصب، وقوّاك على التعب في حوائج إخوانك وأصدقائك، وما الباعثُ لك على ذلك؟

فقال: والله لقد سمعتُ تغريد الأطيار على الأشجار بالأسحار، وتجاوب العود والمزمار، وسمعت فنون العيدان والقيان الحسان، فما طربت من صوت كطربي من لسانٍ يُثني على رجل محسن، وشكر رجلٍ لمنعم.

فقيل له: لله درُّك، لقد حُشيتَ كرمًا وجودًا.

النصائح*

لأبي زيد الثعالبي

قيل: لا يكون شيءٌ أشدَّ على أهل القيامة من أن يرى الإنسانُ من يعرفه، مخافة أن يدَّعي عليه شيئًا. وفي القرآن: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}(١).

قال العلماء: فراره منهم خوفًا من المطالبات، لكل امرئ منهم يومئذ شأنه يغنيه عن اللقاء مع غيره.

- قال الأوزاعي رحمه الله: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبدِ يوم القيامة، يومًا فيومًا، وساعة فساعة، ولا تمرُّ به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطَّعت نفسه عليها حسرات.
- قال الحسن البصري رحمه الله: ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان: من إذا رضي لم يُدخلهُ رضاهُ في باطل، ومن إذا غضب لم يُخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

---

* النصائح/ عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ)؛ تحقيق محمد شايب شريف.- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٥ هـ، ٥٤٨ ص.

كتاب وعظ وإرشاد وتزكية، وترغيب وترهيب، توجيه إلى آداب وأخلاق كريمة، وفضائل أعمال، وما يتعلق بالعلم، وفضائل القرآن، والذكر، والمراقبة، والزهد، وبرّ الوالدين، والجنة والنار، ونحو ذلك.

وفيه آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وأقوال حكيمة، ونقول عن أئمة أعلام، ومقتطفات من دواوين وكتب، بعضها في حكم المفقود.

وقد رأى المؤلف في كتابه هذا رؤيين مباركين يعجب لهما المسلم. أوردهما المحقق في مقدمة تحقيقه.

وهو معروف بأبي زيد الثعالبي، مفسِّر، من علماء الجزائر وأعيانها، صاحب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وغيره.

وقد اقتطفت منه بعض النصائح والحكم ولم أكثر.

(١) سورة عبس، الآيات ٣٤ – ٣٧.

- وقالت الحكماء: من حُرم العدل فلا خير له في أيامه، ولا للناس في سلطانه.
- وقال بعض الحكماء: أميرٌ بلا عدلٍ كغيمٍ بلا مطر، وعالمٌ بلا ورع كأرضٍ بلا نبات، وشابٌّ بلا توبةٍ كشجرةٍ بلا ثمر، وغنيٌّ بلا سخاء كقُفلٍ بلا مفتاح، وفقيرٌ بلا صبرٍ كسراج بلا ضوء، وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح.

قال الحكماء: الإحسان يوجبُ المحبَّة، والمضرَّة توجب البغضة، والأمانة توجب الطمأنينة، والعدل يوجبُ اجتماع القلوب، والجور يوجبُ الفرقة، وحُسن الخُلق يوجبُ المودَّة، وسوءُ الخُلق يوجبُ المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكِبرُ يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب الحمد، والبخل يوجب الذم، والتواني يوجب التضييع، والجدُّ يوجبُ ضبط الأعمال، والحزمُ يوجب السرور، والتغرير يوجب الندامة، والحذرُ يوجب السلامة، وبالتأني تسهلُ المطالب، وبخفض الجانب تأنس النفوس، وبلين كنفِ المعاشرة تدوم المودَّة، وبسعة خُلق المرء يطيب عيشه، وبكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالحِلم عن السفيه تكثر أنصارك عليه، والنظر في العواقب نجاة، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنم، ومن سَكت سلم، قولوا خيرًا تغنموا، واسكتوا عن شرٍّ تسلموا.

- الشيوخ أشجار الوقار، وينابيع الأخبار، لا يطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم.
- من طال عدوانه، زال سلطانه.
- قال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني.

قال: توسَّد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك إذا قمت، وادعُ الله أن يُصلح قلبك.

- قال الحسن: ما رأيتُ عاقلًا قطُّ إلا وجدته حذرًا من الموت، حزينًا من أجله.
- كان محمد بن يوسف الأصبهاني كثيرًا ما ينشد:

إذا كنتَ في دار الهوان فإنما ينجيكَ من دار الهوان اجتنابُها

- سئل إبراهيم بن أحمد الجبنياني عن المزارع التي على الطرقات تمرُّ عليها الدوابّ. فتغلب على أكل ما دنا منها، فقال: أرأيتم لو قيل لكم إنها إن أكلته هلكت، ما كنتم تصنعون؟ قلنا: نتحفَّظُ منها، ولو لم نجد إلا أرديتنا ربطناها على أفواهها. قال: فكذلك فاصنعوا بها إذا مررتم.
- قالوا: الطاعاتُ كلها شكر، وأفضل الشكر: الحمدُ لله.
- قال أبو حازم: أربح التجارات ذكرُ الله، وأخسرُ التجارات ذكرُ الناس.
- لابن عطاء الله: لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.
- خيرُ ما تطلبه منه ما هو طالبهُ منك. يعني الاستقامة.
- متى أوحشكَ مِنْ خَلقه، فاعلم أنه يريدُ أن يفتح لك باب الأنس به.
- فرِّغْ قلبك من الأغيار، تملأهُ بالمعارفِ والأسرار.
- خيرُ علمٍ ما كانت الخشيةُ معه.
- ربَّ عُمرٍ اتَّسعت آماده وقلَّت أمداده، وربَّ عمرٍ قليلةٌ آمادهُ كثيرة أمداده.
- الخذلانُ كلُّ الخذلان أن تتفرَّغ من الشواغل ثم لا تتوجَّه إليه.
- قال سهل بن عبدالله: من خشع قلبه لم يقربه الشيطان.
- قال النصرآباذي: الرجاء يحركك إلى الطاعات، والخوفُ يُبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤدّيك إلى طرق الحقائق.
- قال النووي: لكلِّ شيءٍ عقوبة، وعقوبةُ العارفِ انقطاعهُ عن الذكر.
- قال القشيري: اعلم أن من أجلِّ الكرامات للأولياء دوامُ التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات.
- وقال سهل بن عبدالله: أكبر الكرامات أن تمحو خُلقًا مذمومًا من أخلاقك.

- قال الشيخ العارف عبدالرحمن بن محمد الصقلي في كتابه "الأنوار": إياكم والخوضَ فيما لا يعني، فإنه يورثُ ثلاثًا: يورث السهو والغفلة والقسوة، ويُبعد من الله ومن رسوله وأوليائه...
- وقال: من جعل القرآن إمامه، والسنةَ دليله، والله مفزعه، والحلالَ زاده، والأبرار إخوانَه، سبقته به غدًا إلى الفردوس أعمالُه.
- وقال: من رزقه الله أربعة أخلاق ثبتت له الولاية: عقلٌ يدلُّهُ على الهداية، وعلمٌ يرشده إلى الاستقامة، وخوف يحجزه عن المعاصي، ورجاء يسارع به إلى الخيرات.
- وقال صاحب "الكلمة الفارقية والحِكم الحقيقية" محمد بن عبدالملك الفارقي: لا تدعْ ماء شبيبتك يذهب في أودية جهالتك، ويتسرَّب في أسراب طبعك، ويسقي مذمومات صفاتك، ويروي حشرات حرصك وديدان وساوسك وهوام همومك، بعاجلتك ضاع ماء عمرك في جريان الخذلان، وغار في غيران الشقاء والحرمان، ومزابل الباطل والعصيان..
- وقال: ارصد كواكب خواطرك الطالعة من بروج قلبك، نفسك طالع وقتك، إن طلع بذكر فهو طالع سعد، وإن طلع بغفلة فهو طالع نحس.
- وقال: مَنْ أحسن الأدبَ في الطلب ظفر بالأرَب.
- ومن حكم الشيخ أبي مدين:

انكسارُ العاصي خيرٌ من صولة المطيع.

من جالس الذاكرين انتبه من غفلته، من خدم الصالحين ارتفع بخدمته.

ما عرفَ الحقَّ من لم يؤثره، وما أطاعه من لم يشكره.

إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا آنسه بذكره، ووفَّقه لشكره.

- قال الغزالي في الإحياء: الفكر والذكر أعلى مقامات الصالحين.
- كان بعض المشايخ يقول: مجامع الخيرات محصورة في أمرين: صدقٌ مع الحق، وخُلق مع الخَلق.

- قال الغزالي في الإحياء: أكثر ما يُدخل الموحِّدين النار مظالم العباد، فديوان مظالم العباد هو الديوان الذي لا يُترك، وأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها.
- ونقل عن ابن عباس قوله: إذا قرأتم سجدة سبحان [يعني سورة الإسراء] فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبكِ عينُ أحدكم فليبكِ قلبُه.
- قال ابن عطاء الله: الفكرة سراج القلب، فإذا ذهب فلا إضاءة له.
- قيل لمحمد بن النضر: كأنك تكره أن تُزار؟ قال: أجل. قيل: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحشُ وهو سبحانه يقول: أنا جليسُ مَنْ ذكرني؟!
- كان سحنون يقول: مثَل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العَيْن العذبة في الأرض العذبة، يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به، وقيل: العلم الكثير في الرجل الصالح مثلُ العين الخرّارة في السبخة، تمرُّ الليل والنهار ولا ينتفع بها.
- عن عون بن عبدالله قال: الذاكر في الغافلين كالمقاتل خلف الفارّين.
- قال النووي رحمه الله تعالى: اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيءٌ في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة، ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه جملة، بل يأتي بما تيسَّر منه، لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "وإذا أمرتُكم بشيءٍ فافعلوا منه ما استَطعتم".
- قال عز الدين بن عبدالسلام: لا يجوز الجدال والمناظرة إلا لإظهار الحقِّ ونصرته ليُعرف ويُعمل به، فمن جادل لذلك فقد أطاع، ومن جادل لغرض آخر فقد عصى وخاب، ولا خير فيمن يتحيَّل لنصرة مذهبه مع بُعد أدلته من الصواب.

وصلة الطالب

لدوام صحبة الصديق والصاحب*

للغرقاوي

- قال بعضهم:

إذا ما كنتَ في أمرٍ مهمٍّ وخفتَ من التورُّطِ في المهالك
فلا تجزع وكنْ جَلدًا صبورًا لعلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك

- ولآخر:

هي فتنةٌ أم عينُ حاسدٍ بيننا أم ساحرٌ بيني وبينك قد عملْ
نقلَ العذولُ بأن قلبي قد سلا كذَبَ العذولُ بقولهِ فيما نَقَلْ
أنا ما سلوتُ ولا هممتُ بسلوةٍ لكنه قد قال زُورًا أو خطلْ

- ولغيره:

لا صحَّ عني ولا كان الذي نقلوا لكنهم حرَّفوا في القول وافتعلوا

- ولآخر:

قل للحسودِ إذا تنفَّسَ صعدةً يا ظالمًا وكأنه مظلومُ

---

* وصلة الطالب لدوام صحبة الصديق والصاحب/ أحمد بن أحمد الفيومي الغرقاوي؛ تحقيق سهام صلان.- دمشق: دار سعد الدين؛ القاهرة: دار العلوم والآداب، ١٤٣٤ هـ، ٩٥ ص.

كتاب في الصداقة والصديق، معالج بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال الحكماء وأخبار الأدباء، كتب بسبب وشاية بينه وبين صديق أحبَّه، فتركه صديقه لتلك الوشاية، وحاول معه المؤلف ليعود إلى عهده السابق فأبى، فكتب هذا الكتاب، وجعله في ثلاثة فصول:

الأول في النهي عن سوء الظن بكلام الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ وبكلام الأحباب والأصحاب.

والثاني في تحمل أذى الإخوان.

والثالث في شيء من آداب الألفة والصحبة والصاحب، وما لها من الحقوق والمطالب.

والخاتمة في "استعطافات سجعية وشعرية ونبذة في العفو من كلِّ جَنيَّة".

والمؤلف من فضلاء المالكية، من الفيوم بمصر، له كتب أخرى منها: حسن السلوك في معرفة آداب الملك والملوك، ورسالة في إثبات واو الثمانية. وغيرهما. توفي سنة ١٠٦٩ هـ. رحمه الله.

فإنهم جُبلوا على محبَّةِ الفتن بين الأكابر والأصاغر، وانبعثوا على إظهار القبائح، وطُبعوا على السعي في إفساد ما بين الأقارب والأصدقاء..

- وقال الشاعر:

لا يغرسُ الشرَّ غارسٌ أبدًا إلا اجتنى من غصونهِ ندما

- يروى أن الحسن البصري رحمه الله قال: بينما أنا أطوف في أزقَّةِ البصرة وأسواقها مع شابٍّ عابد، فإذا أتى على طبيب جالس على كرسي وبين يديه رجال وصبيان ونساء، بين أيديهم قوارير فيها ماء، وكل واحد يستوصف دواء لدائه. فتقدَّم الشابُّ إلى الطبيب فقال: أيها الطبيب، هل عندك دواء يغسل الذنوب، ويشفي مرضى القلوب؟

قال: نعم. قال: هات.

قال: خذ مني عشرة أشياء: خذ عروق شجرة الفقر، مع ورق شجرة التواضع، واجعل مع ذلك إهليلج التوبة، واطرحه في هاون الرضى، واسحقه في هاون القناعة، واجعله في طنجر التقوى، وصبَّ عليه من ماء الحياة، واغلهِ بنار المحبَّة، واجعله في قِدْرِ الشكر، وروِّحه بمروحة الرجاء، واشربه بملعقة الحمد، فإنك إن فعلتَ ذلك فإنه ينفعك من كل داءٍ ودواء.

- وقيل لبعض الولاة: كم لك من صديق؟

فقال: لا أدري، الدنيا مقبلة علي، فالناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرفهم إذا أدبرتْ عني.

- وقال آخر: لا تقطع أخاك إلا بعد العجز عن إصلاحه.
- زار بعضهم أخاه الحكيم، فنمَّ له، فقال له الحكيم: أبطأتَ الزيارة، وأتيتني بثلاث جنايات: بغَّضتَ إليَّ أخي، وشغلتَ قلبي الفارغ، واتهمتَ نفسك الأمينة.
- ونمَّ لعمر بن عبدالعزيز رجل، فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا

قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [سورة الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: {هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [سورة القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك.

فقال: أقِلني يا أمير المؤمنين.

- وقد رفع إنسان رقعة إلى بعضهم يحثُّه على أخذ مال اليتيم، وكان مالًا كثيرًا، فكتب على ظهرها: النميمةُ قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والساعي لعنه الله.
- عدم الإصغاء إلى كلام إخوان الرغائب فيه السلامة من شدائد النوائب، والأمنُ من المخاوف بسلامة العواقب، والأمن من قطيعة الصديق والصاحب.
- وفي إحياء علوم الدين: إذا وقع في قلبك ظنُّ السوء، فهو من وسوسة الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذِّبه، فإنه أفسق الفسّاق.
- وقع كلامٌ في رجلٍ بحضرة الإمام الشافعي رحمه الله، فقيل: إنه أكولٌ كسول كثير الفضول.

فقال الإمام الشافعي: أكولٌ للحلال، كسولٌ عن فعل الشرّ، كثير الفضول، أمّارٌ بالمعروف، نهّاءٌ عن المنكر.

- وكان الحسن البصري يقول: ما جُرعةٌ أحبُّ إلى الله تعالى من جُرعة مصيبةٍ ردَّها صاحبها بصبر، وجُرعةِ غيظٍ ردَّها صاحبها بحِلم.
- وقيل: الكريم إذا قدر عفا، وإذا رأى زلَّةً ستر.
- قال بعضهم:

يخاطبني اللئيمُ بكلِّ قبحٍ فأكرهُ أن أكونَ له مجيبا
يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حِلمًا كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيبا

- قيل لأعرابي: من تعدُّون السيدَ فيكم؟

قال: من غَلَبَ رأيهُ هواه، وسبق غضبَهُ رضاه، وكفَّ عن العشيرةِ أذاه.

- قال الشاعر:

تحمَّلْ عظيمَ الذنبِ ممن تحبُّهُ إذا كان ذا عيبٍ وأنت صحيحُ
صديقٌ بلا عيب قليلٌ وجودهُ وكشفُ عيوبِ الأصدقاءِ قبيحُ

- من لم يملك غضبَهُ لم يملك عقله.
- قال بعضهم:

ليست الأحلامُ في حالِ الرضى إنما الأحلامُ في حالِ الغضب

- وكان الحسن يقول: إخواننا أحبُّ إلينا من أهالينا وأولادنا، لأن هؤلاء يذكرون الدنيا، وإخواننا يذكرون الآخرة.
- وقال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق، كاليمين بلا شمال.
- وقال بعض الأئمة: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثرات إخوانه.
- قال الشاعر:

أغمضُ عيني عن صديقي تعمُّدًا كأني بما يأتي من الأمر جاهلُ

- قال لقمان لابنه: يا بني، أول شيءٍ تكسبه بعد الإسلام خليلٌ صالح، فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة، إن قعدت في ظلها أظلَّتك، وإن احتطبت من حطبها نفعتك، وإن صنعت ليفها وخوصك أقام أوَدك، وإن أكلت ثمرها وجدته طيبًا.
- وقال الحكيم: متوحشٌ من لا أخل له ولا صديق.
- قال الشاعر:

فما كلُّ من أقراك السلامَ رفيقُ ولا كلُّ من ألانَ الكلامَ صديقُ

- سئل بعض الأئمة عمن يعاشر الناسَ ولا يكرمهم؟ فقال: ذلك لقلة عقله، وسخافة رأيه، فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوَّه.
- قال الأحنف بن قيس: ثلاث خصال تجذب بهنَّ المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدَّة، والانطواء على المودَّة.

- قرع بابَ بعض السلف صديقٌ له بالليل، فنهض إليه وبيده كيسٌ وسيف وجارية! ففتح له الباب وقال: قسمتُ أمرك بين نائبةٍ فهذا المال، وعدوٍّ فهذا السيف، وقضاءِ شهوةٍ فهذه جارية.
- وأنشد بعضهم:

إن الكريم إذا تقطَّع ودُّه كتم القبيحَ وأظهر الإحسانا

- وقال آخر:

قيل لي قد أساء إليك فلانٌ ومقامُ الفتى على الذلِّ عارُ
فقلت: قد جاءنا وأحدثَ عذرًا وهبةُ الذنبِ عندنا الاعتذارُ

- وأنشد آخر:

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم إن المحبَّ إذا لم يُستَزَرْ زارا
يقرِّبُ الشوقُ دارًا وهي نائيةٌ مَن عالجَ الشوق لم يستبعدِ الدارا

- قال إبراهيم النخعي: لا تهجر أخاك عند ذنبٍ يذنبه، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا، لا سيَّما إن كان عالمًا.
- قال بعضهم:

هبني أسأتُ كما تقولُ فأين عاقبةُ الأخوَّهْ
فإذا أسأتُ كما أسأتَ فأين فضلك والمروءه؟

- أمر زيادٌ بضرب رقبة رجل، فقال: أيها الأمير، إن لي بك حرمة.

فقال: وما هي؟

قال: إن أبي جارك.

قال: وما أبوك؟

قال: يا مولاي نسيتُ اسم نفسي فكيف اسم أبي؟

فوضع زيادٌ كُمَّه على فيه، وضحك، وعفا عنه.

الفهرس

آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوَّة، لبدر الدين الغزي..... ٤

الإفادات والإنشادات، للإفراني..... ٧

أفعلُ من كذا، لأبي علي القالي..... ١٠

الأنيس النفيس المغني عن الجليس، لأبي القاسم الزياني..... ١٤

جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة، للصفدي..... ٢٠

جواهر الكلِم وفرائد الحِكَم، المنسوب للريحاني..... ٢٣

الجواهر النفاس في بيان صفات السيِّد من الناس، لليافعي..... ٣٢

حلية الكرماء وبهجة الندماء، لابن أبي العيد المالكي..... ٣٦

رياض الألباب بمحاسن الآداب، للسيوطي..... ٣٩

زاد سفر الملوك، للثعالبي..... ٤٤

سجع المنثور، لأبي منصور الثعالبي..... ٤٨

سَفَطُ المُلَح وزَوْحُ الترَح، لابن الدجاجي..... ٥٢

الفرج بعد الشدة، للقاضي التنوخي..... ٥٩

الفصوص في المُلَح والنوادر والعلوم والآداب، لصاعد الربعي..... ٦٤

قلائد النحور، لابن الجوزي..... ٧٢

لذة السمع في صفة الدمع، للصفدي..... ٧٥

مجالس السلطان الغوري..... ٨٢

المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة، لابن أبي الأصبع العدواني..... ٨٥

مختصر عجائب الدنيا، لابن وصيف شاه..... ٩٠

ملتقط الحكايات، لابن الجوزي..... ٩٨
المنتخب من كتاب الهدايا لابن المرزبان..... ١٠٢
نزهة الأبصار في النكت والأخبار، للكاتب الحلبي..... ١٠٥
نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب، للأدكاوي ١٠٩
النصائح، لأبي زيد الثعالبي..... ١٢٠
وصلة الطالب لدوام صحبة الصديق والصاحب، للغرقاوي..... ١٢٥